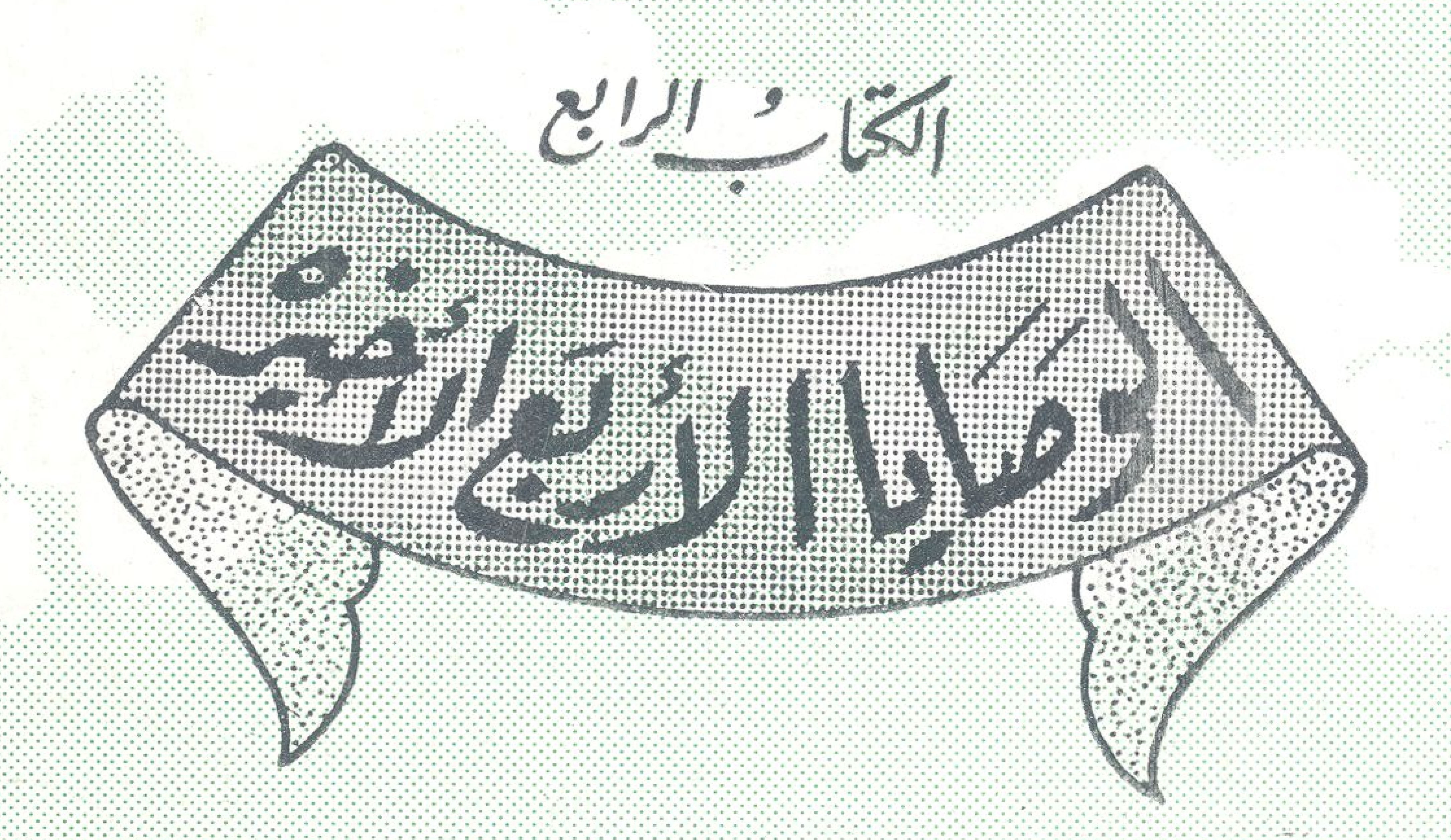
البابا شنوده الثالث

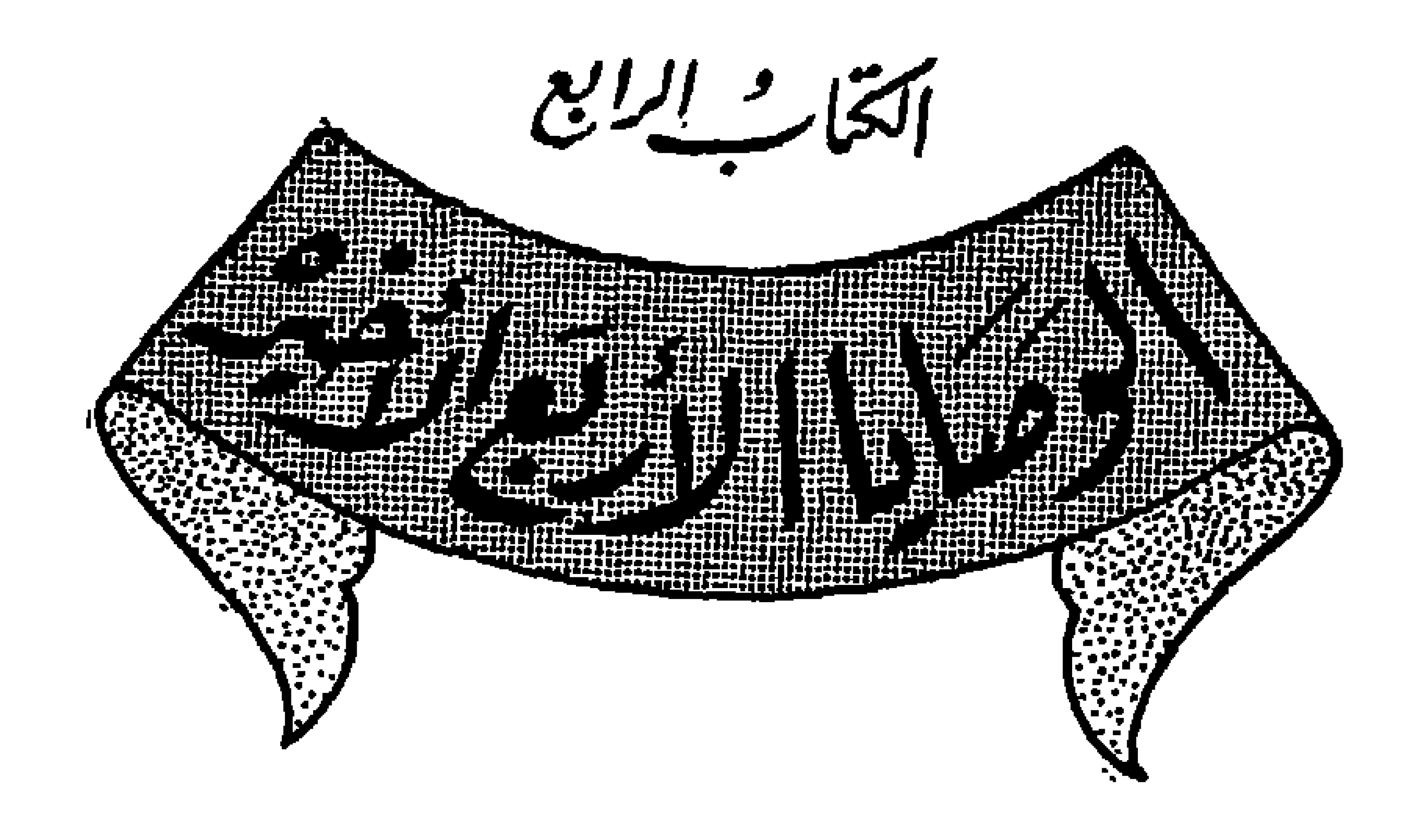
الوصايا العشر



البابا شنوده الثالث

الوصايا العشر

الكتاب الرابع



Contemplations on The Ten Commandments
4. The Last Four Commandments
by H.H. Pope Shenouda III

5th Print
June 1984
Cairo

الطبعة الخامسة
يونيو ١٩٨٤ م
القاهرة



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

بسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمــين

مقـــــدمــة

نقدم لك أيها القارىء العزيز هذه المحاضرات التى ألقيت فى عام ١٩٦٧ م فى القاعة المرقسية بمنطقة الأنبا رويس ، بدون أى تغيير يُذكر.

وقد سبق أن قدمنا إليك ثلاثة كتب عن الوصايا العشر . وهذا الكتاب قد خصصناه للوصايا الأربع الأخيرة . وقد آثرنا نشرها بهذه الطريقة المركزة ، مع أن كلاً منها قد تحتاج إلى كتاب خاص .

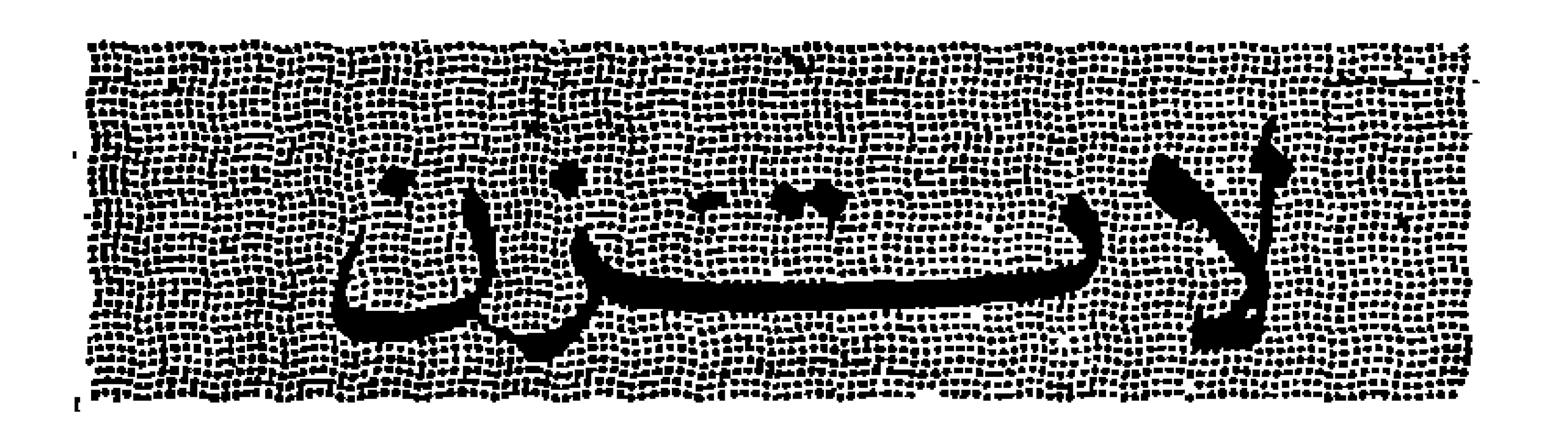
وبهذا نكون قد نشرنا لك تأملاتنا فى الوصايا العشر فى أربعة كتب ، يمكن أن تضمها معاً ، لتحتفظ بوحدة هذا الموضوع .

وإن كانت هناك تفاصيل أخرى تتعلق بهذه الوصايا ، فأرجو أن نتعرض لها فى كتابنا [الحروب الروحية] الذى سيصدر فى أجزاء عديدة تجتمع أخيراً فى مجلد واحد ... أو نتعرض لهذه التفاصيل فى إجاباتنا عن الأسئلة التى تدخل ضمن سلسلة [سنوات مع أسئلة الناس] .

إلهنا الصالح نسأله أن يمنحك القوة ، لكى تسير وفق هذه الوصايا التى بلغ من أهميتها أن كتبها الله بأصبعه ...

شنوده الثالث

الوصيّة السابعة



لا تزن (خر ٢٠ : ١٤) ، (تث ٥ : ١٨) .

« أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس ...
فمجدوا الله فى أجسادكم » ... (١ كو٦ : ١٩ ، ٢٠)



بشاعة هذه الخطية

يقول الرسول : « إهربوا من الزنا . كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد . لكن الذى يزنى يخطىء إلى جسده » (١ كو ٦ : ١٨) .

● وما هى الخطورة فى أن يخطىء الإنسان إلى جسده ؟

الخطورة يركزها الرسول فى سببين :

١ - « ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح . أفآخذ أعضاء المسيح ، وأجعلها أعضاء زانية ؟! حاشا » (١ كو ٦ : ١٥) .

٢ - « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل الروح القدس ... وأنكم لستم لأنفسكم ... فمجدوا الله فى أجسادكم » (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠) .

« أنتم هيكل الله الحى » (٢ كو ٦ : ١٦) . « أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن فيكم . إن كان أحد يفسد هيكل الله ، فسيفسده الله . لأن هيكل الله مقدس ، الذى أنتم هو» (١ كو ٣ : ١٦ ، ١٧) .

إذن فالذى يزنى ، إنما يخطىء إلى أعضاء المسيح .

و يفسد هيكل الله ، هيكل الروح القدس ! ...

ما أبشع هذا الأمر ... وماذا أيضاً عن خطورة هذه الوصية ؟

● إنه من فرط بشاعتها ، يطلقون عليها إسم « النجاسة » ...

يقول بطرس الرسول إن الله : « يحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين ، ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد فى شهوة النجاسة » (٢ بط ٢ : ١٠) . وهكذا إستخدم تعبير « شهوة النجاسة » بدلاً من أن يقول : « شهوة الزنا » .

وعندما زنى شكيم مع دينة إبنة يعقوب . يقول الكتاب : « وسمع يعقوب أنه نجس دينة إبنته » (تك ٣٤ : ٥) . أما أولاد يعقوب فغضبوا جداً ودبروا حيلة قتلوا بها شكيم وكل رجال مدينته : « لأنه كان قد دنس دينة أختهم » (تك ٣٤ : ١٣ ، ٢٧) .

و يقول حزقيال النبى عن الرجل الذى يزنى إنه : « نجس إمرأة قريبه » (حز ١٨ : ١١) . و يقول يهوذا الرسول إن المحتلمين : « ينجسون الجسد » (يه ٨) . وقد

شرح لنا يوحنا الرسول فى سفر الرؤيا : « دينونة الزانية العظيمة من أجل : « رجاسات ونجاسات زناها » (رؤ١٧ : ١ ، ٤) .

وشرح لنا هذا القديس العظيم عظمة المائة والأربعة والأربعين ألفاً ، الذين لم يستطع أحد غيرهم أن يرنم تلك الترنيمة الجديدة . فقال : « هؤلاء الذين لم يتنجسوا مع النساء ، لأنهم أطهار. هؤلاء هم الذين يتبعون الحمل حيثما ذهب » (رؤ ١٤ : ٤) . ومثل هذا المعنى أوصله الرب إلى ملاك كنيسة ساردس قائلاً : « عندك أسماء قليلة فى ساردس لم ينجسوا ثيابهم . فسيمشون معى لأنهم مستحقون » (رؤ ٣) .

من كل هذا نرى أن خطية الزنا سميت نجاسة ، وأن الزناة ينجسون أجسادهم ، وينجسون ثيابهم ، وينجسون النساء ، ويتنجسون معهم ، ويذهبون وراء الجسد فى شهوة النجاسة ... وماذا أيضاً ؟

يقول الرب على لسان أرمياء النبى إنه بهذا الأمر : « تتنجس الأرض نجاسة » ويقول لتلك العاصية : « نجست الأرض بزناكِ » (أر ٣ : ١ ، ٢) . إن الزنا إذن لا ينجس أصحابه فقط ، وإنما ينجس الأرض أيضاً ، ينجسها نجاسة ... يا اللهول !

وتسمية هذه الخطية بالنجاسة وما يشبهها من معان ورد فى رسائل القديس بولس الرسول أيضاً إذ قال : « أعمال الجسد ظاهرة ، التى هى زنى عهارة نجاسة دعارة ... » (غل ٥ : ١٩) . وقال فى رسالته إلى أهل كولوسى : « أميتوا أعضاءكم التى على الأرض : الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية ... » (كو ٣ : ٥) . . وقال فى رسالته إلى أهل أفسس « وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع ، فلا يُسمّ بينكم كما يليق بقديسين ... لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية » (أف ٥ : ٣ - ٦) .

بكل هذه الأوصاف وصُفت خطية الزنا : وصُفت بالنجاسة والدعارة والعهارة والهوى والشهوة الردية ... وماذا أيضاً ؟

● من فرط بشاعتها سميت عبادة الأوثان زنى :

فعندما عبد بنو إسرائيل الأصنام فى عصر القضاة ، قال عنهم الكتاب إنهم : « لقضاتهم أيضاً لم يسمعوا ، بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها » (قض ٢ : ١٧) .

وأصبح هذا التعبير مألوفاً فى الكتاب المقدس . فلما وقعت مملكة إسرائيل ومن بعدها مملكة يهوذا فى عبادة الأصنام ، قال الرب على لسان أرمياء النبى : « زنت العاصية إسرائيل ... إنطلقت إلى كل جبل عالٍ وإلى كل شجرة خضراء ، وزنت

هناك ... ولم تخف أختها الخائنة يهوذا ، بل مضت وزنت هي أيضاً . وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض ، وزنت مع الحجر ومع الشجر» (أر ٣ : ٦ : ٩) .

وبنفس المعنى قال الرب على لسان هوشع النبي « ... زنى أفرايم ، تنجس إسرائيل » (هو ٦ : ١٠) .

ويعوزنا الوقت إن أوردنا كل النصوص المقدسة التي يطلق فيها تعبير (الزنى) على عبادة الأصنام . وإنما نقول أكثر من هذا أن الخطية عموماً سميت (زنى) ، إذ لم يوجد أبشع من هذا الوصف . وماذا أيضاً عن بشاعة هذه الخطية ؟

● إنه بسببها وقعت أشد عقوبات الله على الأرض :

١ - ماذا كانت أشد عقوبة أوقعها الله على الأرض فى العهد القديم ؟ إنها بلا شك **عقوبة الطوفان** حيث قال الرب : « أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ... نهاية كل بشر قد أتت أمامى ... لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد » (تك ٦ : ١٣ ، ٧ ، ٣) . هذه هى عقوبة الإفناء الجبارة التى لم يحدث مثلها . فماذا كان سببها ؟ إنه الزنى . يقول الكتاب : « وحدث لما إبتدأ الناس يكثرون على الأرض ، وولد لهم بنات ، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات » (تك ٦ : ١ ، ٢) .

٢ - إن بلعام الذى إستأجره بالاق ليلعن إسرائيل ، كان يعرف ما قاله القديس بولس الرسول فيما بعد أنه : « بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية » ، لذلك رأى أن أفضل وسيلة لإهلاكهم هى أن : « يأكلوا ما ذبح للأوثان ويزنوا » (رؤ ٢ : ١٤) . وحدث ذلك فعلاً وتحققت ضلالة بلعام ، إذ يقول الكتاب : « وأقام إسرائيل فى شطيم ، وإبتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب » (عد ٢٥ : ١) . فحل غضب الرب على الشعب ، وضربهم بالوبأ . ولم ينقذهم منه إلاَّ فينحاس الذى قام بغيرة مقدسة وقتل الرجل الإسرائيلى والمرأة التى يزنى معها : « فامتنع الوبأ عن إسرائيل . وكان الذين ماتوا بالوبأ أربعة وعشرين ألفاً » (عد ٢٥ : ٩) . ومدح الرب فينحاس لأنه رد سخطه عن الشعب وإلاَّ كان سيفنيهم ...

٣ - وبسبب الزنا أيضاً **حرق الرب سدوم وعمورة** « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء . وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن وبنات الأرض » (تك ١٩ : ٢٤ ، ٢٥) . وتذكر القديس يهوذا الرسول هذه الحادثة المرعبة ، فقال : « كما أن سدوم وعمورة والمدن التى حولهما . إذ زنت على

طريق مثلهما ، وذهبت وراء جسد آخر ، جُعلت عبرة ، مكابدة عقاب نار أبدية » (يه ٧) . ونحن نعلم أنه قبل حرق هاتين المدينتين ، وبسبب الزنى أيضاً ، ضرب الملاكان كثيراً من أهل سدوم بالعمى (تك ١٩ : ١١) . ثم إحترق هؤلاء الزناة عمياناً .

٤ - وبسبب الزنى أيضاً **كاد يفنى سبط بنيامين كله** (قض ٢٠) . وبسببه أهلك الله كثيرين عندما زنوا ببنات موآب ... وفى ذلك قال الرسول : « ولا تزن كما زنى أناس منهم ، فسقط فى يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً » (١ كو ١٠ : ٨) .

٥ - وبسبب الزنا حكم بولس الرسول على **خاطىء كورنثوس** حكماً خطيراً جعله يكاد يُبتلع من الحزن المفرط ، إذ قال : « أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع » (١ كو ٥ : ٥) .

٦ - وبالإضافة إلى هذه الأمثلة من العقوبات الشديدة على الأرض ، توجد أيضاً عقوبة سماوية ، وهى **الهلاك الأبدى** . وفى ذلك يقول بولس الرسول : « لا تضلوا ، لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ، ولا مأبونون ، ولا مضاجعو ذكور ، ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله » (١ كو ٦ : ٩ ، ١٠) .ونلاحظ هنا أن القديس بولس وضع إسم الزناة قبل عبدة الأوثان مما يدل على خطورة هذه الخطية وبشاعتها . وماذا أيضاً عن خطورة هذه الخطية ؟

● بسبب هذه الخطية وحدها ، ينحل رباط الزوجية المقدس :

هذا السر العظيم الذى شبه به إتحاد المسيح بالكنيسة (أف ٥ : ٢٢ - ٣٢) . والذى قال عنه السيد الرب : « الذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » (مت ١٩ : ٦) . هذا الرباط المقدس الذى لا تقوى جميع الأسباب على حله ، يمكن أن ينحل بواسطة هذا السبب الواحد . ألا وهو الزنا . إن الرب يعرف أن الرجل يمكنه أن يحتمل المرأة فى كل شىء . ويغفر لها كل ذنب أياً كان ، ما عدا الزنا فإنه لا يحتمل ، ولا يستطيع الرجل بعده أن يعيش مع المرأة ... إنه يحل رابطة (الجسد الواحد) ، ويرجع الزوجان إثنين كما كانا قبل الزواج ، ولا يعودان بعد واحداً ...

● دلائل أخرى على بشاعة هذه الخطية :

١ - من البراهين القوية على بشاعة هذه الخطية أن القديس بولس يأمرنا قائلاً : « **لا تخالطوا الزناة** ... لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا ... أعزلوا الخبيث من بينكم »

(١ كو ٥ : ٩ - ١٣) . فالأخ الزانى يعزله المجتمع المسيحى ، ولا يختلط به ، كشىء نجس ، خبيث ، كسبب عدوى ... ما أقسى هذا الأمر ... عندما تعرض له خاطىء كورنثوس ، كاد أن يُبتلع من الحزن المفرط (٢ كو ٢ : ٧) .

٢ - وخطية الزنا خطية مركبة : فهى ليست قاصرة على خطية الإنسان نحو غيره باشتهائه أو تدنيسه أو إعثاره أو إغرائه ... وإنما بها أيضاً يخطىء الإنسان إلى نفسه ، إذ يفقد عفته وطهارته ، ويدنس نفسه ويتلف صحته . ويخطىء أيضاً إلى الله إذ يأخذ أعضاء المسيح ويجعلها أعضاء زانية ، ويدنس هيكل الروح القدس الذى هو جسده ... وهكذا نرى أن داود النبى عندما زنى بإمرأة أوريا الحثى ، صرخ إلى الله قائلاً : « لك وحدك أخطأت ، والشر قدام عينيك صنعت » (مز ٥١ : ٤) .

وقد يتطور الزنا فتكون له نتائج أخرى خطيرة : مثل فقد البكورية . أو الحبل ، أو الإجهاض ، أو الطلاق ، وربما تغيير الدين أيضاً لتلافى نتائج الخطية أو تكميلاً لشهوة تحكمت فى الإنسان ! ... ونحن فى هذه الأيام - للأسف الشديد - غالبية الذين يتركون دينهم إنما يتركونه لهذا السبب : وقعوا فى خطية زنا ولم يستطيعوا أن يتخلصوا من نتائجها !! ... وهذا يعطينا مثالاً عن مدى ما توصل إليه الخطية ...

٣ - وخطية الزنا تشمل الإنسان كله ، كل ما فيه يخطىء أثناء إرتكابها : فكره ، وحواسه ، وقلبه ، وجسده ، وروحه ... الخطية تسود عليه كله وتستقطبه . بالذات - الخطايا الشهوانية عموماً والإنفعالية - يشترك فيها الإنسان كله ، بعكس خطايا أخرى تكون قاصرة على جزء واحد فقط من الإنسان : فخطية الشك مثلاً ، من الجائز أن تكون قاصرة فقط على فكر الإنسان . وبعض خطايا الكلام تكون قاصرة على اللسان ...

٤ - ومن بشاعة الزنا يسمونه أحياناً « الخطية » وكفى . فقد تقول فتاة لأب إعترافها : « وقعت فى الخطية » ولا تزيد شيئاً . ويفهم هو أنها هذه الخطية بالذات ...

٥ - ومن بشاعة خطية الزنا أنها تعتبر عداوة لله ومحبة للعالم ، وفى ذلك قال القديس يعقوب الرسول : « أيها الزناة والزوانى ، أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله . فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » (يع ٤ : ٤) .

٦ - ومن أهمية هذه الوصية أن الرسل عندما بحثوا مسألة الأمم الداخلين إلى الإيمان ، وأرادوا أن يخففوا عنهم ، فلا يثقل عليهم بوصايا كثيرة ، إقتصروا على منعهم عن أشياء قليلة هى أبشع ما عند الأمم . وكان الزنا إحدى هذه البشاعات . فقال

يعقوب الرسول : « لذلك أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم . بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم » (أع ١٥ : ١٩ ، ٢٠) .

٧ ـ ومن بشاعة خطية الزنا ، ظن البعض أنها خطية آدم وحواء التى جرت الويل على العالم كله . ولكنى لا أوافق مطلقاً على هذا الرأى لأسباب كثيرة [1] ...

٨ ـ ومن خطورة هذه الخطية أنها أسقطت كثيرين من الأقوياء ، منهم أنبياء كداود . ولذلك قال عنها سليمان الحكيم ، عن خبرة ، إنها : « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) ... إن شيطان الزنا شيطان عنيف ، يحتاج إلى إحتراس شديد وإلى معونة قوية من الروح القدس ...

وتزداد خطية الرجل بشاعة إذا أكره المرأة أكراها على الزنا معه ، وإغتصبها إغتصاباً . إذ يكون بذلك كأنه وحش لا إنسان . وفى هذه الحالة يحمل خطيته وخطيتها . وبخاصة إذا قاومت المرأة بكل قوتها ، واستغاثت ولم يغثها أحد ، ولم تكن راضية عن الخطية فى قلبها ... وفى ذلك تقول الشريعة : « يموت الرجل الذى إضطجع معها وحده . وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئاً . ليس على الفتاة خطية للموت ، بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلاً هكذا هذا الأمر» (تث ٢٢ : ٢٥ ، ٢٦)

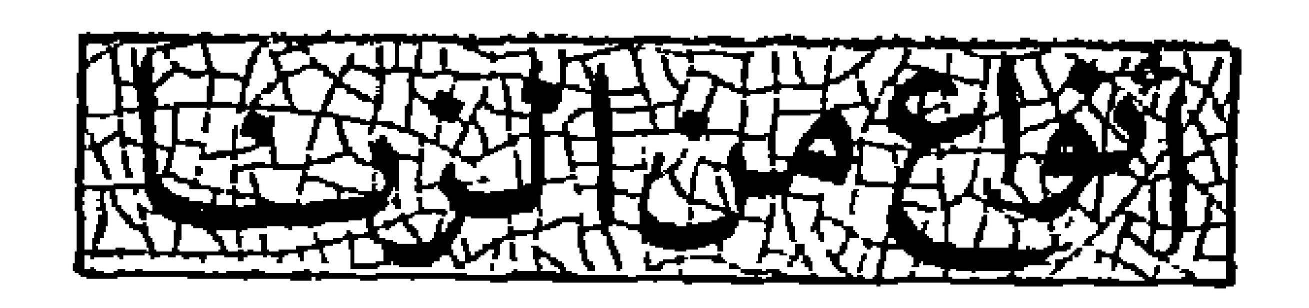
وهكذا كانت الشريعة تفرق فى مسئولية المرأة إن حدث الزنا فى المدينة حيث يوجد من يغيث ، أو حدث ذلك فى الحقل حيث لا يوجد من يسمع . أما إن حدث ذلك فى المدينة فتقول الشريعة : « أخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا : الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل إمرأة صاحبه . فتنزع الشر من وسطك » (تث ٢٢ : ٢٤) .

ويدخل فى نطاق الزنا بالإكراه ، إن حدث فى غير وعى الطرف الآخر . أو حدث بغير معرفته وبغير إدراكه لحقيقة الأمر كأن يحدث ذلك مع الصغار غير العارفين .

ويزيد خطية الزنا بشاعة إن حدثت مع المحرمات ، أو كانت بخلاف الطبيعة حسبما شرح بولس الرسول فى رسالته إلى رومية (١ : ٢٦ ، ٢٧) ، أو كانت بإختراع طرق للإفتنان فى أشباع الشهوة ...

---

١ ـ أنظر كتابنا سنوات مع أسئلة الناس الجزء الأول .



لست أريد فى هذا المجال أن أتكلم بالتفصيل ، فهذا الأمر يحتاج إلى كتب بأكملها . أنما أقصد أن أقول كلمة مركزة تلم بالموضوع فى إيجاز...

أسماء :

إن الزنا له فروع وأنواع كثيرة ، بأسماء عديدة تشمل عدداً وفيراً من مفردات اللغة فهو يسمى الفسق بالنسبة إلى المتزوجين adultery ، والزنا بصفة عامة fornication ويسمى دعارة وعهارة بالنسبة للمدمنين عليه والمبتذلين فيه . ويسمى السدومية بالنسبة إلى الشذوذ الجنسى وهو على أنواع كثيرة : منها مضاجعو الذكور، وعكسهم المأبونون ...

أنواع :

قد يكون الزنا بالفكر ، أو بالحواس ، أو بشهوة القلب أو شهوة الجسد ويسمى الشهوة الجنسية ، وربما يكون بالأحلام . وقد تتطور الشهوة إلى محاولات للإشباع بطرق متنوعة ... وقد يكون الزنا باللسان ، أو بالآذان ، أو بالكتابة . وهناك زنا بالنية ، وزنا كامل ...

وإسقاط الآخرين فى الزنا قد يكون بالأغواء والأغراء والإعثار ، أو بالخداع ، أو بالمشاركة . وقد يتم بالرضا والإستجابة ، أو بالإكراه والإغتصاب ...

* الزنا بالحواس :

١ - قد يقع الإنسان فى **الزنا بالنظر** . ولذلك قال السيد الرب : « إن كل من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه » (مت ٥ : ٢٨) . وهذا الأمر أدركه أيضاً أيوب الصديق فى العهد القديم فقال عبارته الجميلة : « عهداً قطعت لعينى فكيف أتطلع فى عذراء » (أى ٣١ : ١) .

لذلك فمن علامات العفة الحياء و « النظرة المستحية » . أما الذى يشبع عينه من جمال جسدى أو من منظر مثير ، فإنه يدل على أن قلبه غير نقى ...

ولكن ليس معنى هذا أن كل نظرة خطية . إن النظرة الأولى قد لا تكون خطية ، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش مغمض العينين . فقد تقع عينه على منظر جنسى أو منظر مثير دون أن يدرى أو دون أن يريد . إلى هنا لا يكون قد أخطأ . ولكن إذا أثارته هذه النظرة غير المقصودة ، فنظر بإرادته نظرة أخرى ، تكون هذه النظرة الثانية خطية مادامت لونا من الإشباع . وقد لا تكون الخطية فى نظرة ثانية لأنه ربما يضبط نفسه من الخارج فلا ينظر. ولكن تكمن الخطية فى داخله فى ما أحدثته النظرة الأولى من شهوة فى قلبه ...

٢ ـ وقد يقع الإنسان فى **الزنا بالسمع** ، عندما يشعر بلذة فى سماع الأمور الجنسية سواء أثارته فى وقتها . أو إختزنت فى عقله الباطن لتثيره فى وقت أخر.

٣ ـ وقد يقع الإنسان فى **الزنا باللمس** ، **أو بالشم** عندما تثيره رائحة معينة تشبع حواسه . لذلك تستخدم العطور أحياناً بأسلوب يقصد به الإغراء ...

* الزنا بالفكـــر :

الحواس تعمل فى الخارج ، ولكن عندما يتدنس الفكر ، يبدأ الزنا يعمل فى لداخل . فيتحول الفكر إلى شهوة فى القلب . وقد يبدأ السقوط بشهوة فى القلب ، تولد أفكاراً ، والأفكار تثير الحواس فتبحث عن إشباع . وربما يقتصر إشباعها على الفكر ذاته وما يدور فيه من أحلام اليقظة ومن التصورات الكثيرة .

والفكر الجنسى قد يتولد من القراءات أو المناظر أو السماعات أو الخلطة بالمثيرات أياً كانت .

على إننا يجب أن نفرق بين حرب الأفكار ، والسقوط بالفكر ، فالشيطان ربما يحارب الإنسان بأفكار الزنا ، فإن كانت الحرب خارجية تلح على الشخص وهو يرفضها ويهرب منها . فهو إلى الآن لم يسقط ، وإنما يصارع الخطية . أما السقوط بالفكر. فهو قبول فكر الخطية . والتفاوض معه ، والتلذذ به ، وإختراع أفكار جديدة لإشباع شهوة القلب .

* الزنا بالقلب (بالشهوة) :

إن كانت الحرب فى الفكر فقط ولم يشتغل بها القلب بعد ، فهى ما تزال حرباً خفيفة . ولكن تشتد الحرب إذا إختلطت بالعاطفة . وتزداد كلما سيطرت الرغبة على

الإنسان ... عندئذ تصبح الحالة خطيرة . وقد تتحول إلى الزنا بالفعل ، أى بالجسد . وقد يكون الزنا بالقلب مجرد نية فى القلب لا تساعدها الظروف على إتمام العمل ، وربما يصرفها الإنسان روحياً فيتخلص منها .

* الزنا باللسان ، وبالكتابة :

يشمل كل كلام جنسى مثير . و ينطوى تحته كلام المجون ، والمغازلة . والفكاهات الجنسية ، والقصص الغرامية . والأغانى العابثة . و يدخل فى ذلك أيضاً الكلام اللين الشهوانى . وكل هذا ينطوى تحت عنوان العثرة . يخطىء فيه الإنسان إلى نفسه ، وإلى سامعيه ...

وقد يعبر عن هذه المعانى كلها بالكتابة ، سواء فى الروايات أو القصص أو الأشعار أو الرسائل ، وتؤدى إلى نفس العثرة ...

* العـــثرة :

قد تأتى العثرة من الصغر فى طريقة التربية ، من الوالدين :

من الجائز أن الأب فى الأسرة يريد أن يرفه عن أولاده ، فيأخذهم إلى إحدى الروايات فى السينما ، وربما تكون معثرة تفتح عيونهم على أشياء تفقدهم بساطتهم الروحية . وقد يقول الأب أن تلك الرواية ليس فيها شىء ضار وأنها لم تترك فى نفسه أثراً رديئاً . و ينسى فارق السن بينه وبين أولاده ، فهو فى سن نضوج يتحكم فيه العقل ، وهم فى سن تتحكم فيه الحواس والغرائز ، و ينسى أيضاً أن وضعه الإجتماعى يختلف عن وضعهم ، فهو متزوج لا يقاسى من كبت ، وهم ليسوا مثله . كذلك ينسى أن العثرة التى لا تؤثر الآن ربما تؤثر بعد حين . فتتعبهم هذه المناظر فيما بعد ...

أب آخر يريد أن يكون بيته راقياً ، حسب مفهومه الخاص للرقى ، فيزود هذا البيت بكل وسائل الترفيه . يضع فيه مثلاً تليفزيون ، و يكون هذا التليفزيون عبارة عن سينما منزلية ، تجلس إليه فى كل حين الزوجة والأولاد . وقد يدعى هذا الأب أنهم ستحكمون فيما يشاهدونه و يسمعونه . وتثبت التجربة أنهم لا يستطيعون أن يتحكموا ... وقد يكون الأب سبب عثرة لبيته كله . و يغرس فى أولاده صورا تحاربهم فى فكرهم وفى أحلامهم وفى شهواتهم ... « وويل لمن تأتى من قبله العثرات » (يو ١٧ : ١) .

وتزداد مسئولية الأب إن كان يرغم أولاده على الدخول فى العثرات مقابلاً تدينهم

وإحتراسهم بالتهكم المثير...

ومثال العثرة أيضاً تلك الأم التى تريد زواج إبنتها . وترغمها على لون من التزين ومن الملابس يجذب إليها الأنظار . و يوقعها و يوقع الناظرين إليها فى عثرة ...

وقد تأتى العثرة من الأصدقاء والمعاشرات الرديئة : التى قال عنها الكتاب إنها تفسد الأخلاق الجيدة (١ كو ١٥ : ٣٣) . وما فى تلك المعاشرات من أحاديث معثرة . وجلسات ونزهات غير بريئة ، وتوجيهات خاطئة تصور الرجولة والسعادة فى الفساد ...

وقد تأتى العثرة من إباحية المجتمع ، وإغراء الجنس الآخر : فنحن فى جيل آخذ فى الإنحلال ، و بخاصة فى أزيائه وفى زينته وفى إباحيته ، إن كانت الأزياء بشكل لا يتفق مع الحياء . والناس يرتدونها ، دون أن يحكموا الدين أو الضمير فى ما يلبسون ... يفعلون ذلك أما إباحية منهم ، أو مجاراة للعصرية . أو خوفاً من إنتقاد الناس ...

والفتاة كثيراً ما يستهويها إعجاب الناس وتملق الساقطين وهكذا تتزين لا لبيتها وإنما للخارج . وكثيراً ما يلذ للمرأة إسقاط الرجال . و يعطيها هذا الأمر ثقة فى نفسها وفى تأثيرها ، غير حاسبة أمام ضميرها مسئولية هذه العثرة . وقد لا تسقط هى فى الشهوة ، وإنما فى الشعور بشخصيتها ، بطريقة عالمية ...

وقد تقول مثل هذه الفتاة إنها لم تسقط فى الزنا ، ولكن الله سيطالبها بدماء الذين سقطوا بسببها ، وستحمل معهم خطاياهم فى يوم الدين . وقد قال السيد المسيح « و يل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة ... خير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى و يغرق فى لجة البحر» (مت ١٨ : ٧ ، ٦) . هل تظنون أن عبارة : « نجنى من الدماء يا الله » ، التى نقولها فى المزمور الخمسين ، يقصد بها فقط دماء القتلى ، كلا ، بل أيضاً كل شخص أعثرناه وسقط بسببنا و يطالبنا الله بدمه فى اليوم الأخير...

وما يقال عن المرأة يقال عن الرجل أيضاً إن كان هو سبب العثرة ...

* علاقات زنا تحتمى بالقوانين :

هناك علاقات إجتماعية تحكم عليها المسيحية بالزنا . مهما حاولت أن تحتمى وراء قوانين عالمية لا يوافق عليها الدين . ومن أشهر هذه العلاقات الزانية :

١ ـ الزواج بعد التطليق الخاطىء :

يقول السيد المسيح فى شريعة التطليق :

« إن من طلق إمرأته إلاّ بسبب الزنى ، وتزوج بأخرى ، يزنى » (مت ١٩ : ٩ ؛ ٥ : ٣٢) .

« من طلق إمرأته وتزوج بأخرى ، يزنى عليها » (مر ١٠ : ١١) .

« كل من يطلق إمرأته ويتزوج بأخرى ، يزنى » (لو ١٦ : ١٨) .

فمن طلق إمرأته لسبب آخر ـ مهما كانت الأحكام التى حصل عليها ـ يعتبر طلاقه باطلاً فى نظر المسيحية ، ويظل بالزواج الأول . فإن تزوج يكون كأنه أخذ زوجة أخرى على زوجته ، وهذا ما قصده الرب فى قوله « يزنى عليها » (مر ١٠ : ١١) .

إن كثيرين يحتالون على التطليق بطرق شتى منها تغيير المذهب ويحتمون بالقانون الذى يقول إنه إذا إختلف الزوجان فى المذهب تطبق عليهم الشريعة الإسلامية . وتحكم محكمة الأحوال الشخصية فى هذه الحالة بتطليق الزوجة بتطبيق الشريعة الإسلامية . ولكنه يبقى فى نظر المسيحية مرتبطاً بزوجته الأولى . لأن الرب يقول : « الذى جمعه الله لا يفرقه إنسان» (مت ١٦ : ٦) .

فإن تزوج الرجل الذى حصل على مثل هذا الطلاق ، فإنه يزنى حسب قول الرب فى الإنجيل . وقد يحاول أن يدافع عن نفسه بأن الكنيسة هى التى زوجته ، فنقول إما أنه خدع الكنيسة ، وإما أن الكاهن الذى أبرم له عقد الزواج قد أخطأ . وفى كلا الحالتين يعتبر الزواج باطلاً فى نظر الدين ، والعلاقة زنا ...

يجب على الكاهن أن يمتنع عن تزويج المطلقين ويراعى حكم الإنجيل ويمكنه تحويل الموضوع إلى المجلس الإكليريكى الأعلى لفحصه .

ويجب على الزوجة الجديدة وأهلها أن يفحصوا ويتأكدوا ...

٢ ـ الزواج بمطلقة :

من الأمور التى تحرمها المسيحية ، الزواج بالمطلقات . بقول الرب فى الإنجيل :

« ومن يتزوج بمطلقة ، فإنه يزنى » (مت ٥ : ٣٢ ؛ ١٩ : ٩) .

« وكل من يتزوج بمطلقة من رجل ، يزنى » (لو ١٦ : ١٨) .

« وإن طلقت إمرأة زوجها وتزوجت بآخر . تزنى » (مر ١٠ : ١٢) .

الرجل فى هذا الزواج يزنى ، والمرأة تزنى ، فلماذا ؟

ذلك لأن الطلاق إما أن يكون قد حدث بسبب الزنا ، أو لغير هذا السبب .

فإن كان الطلاق قد تم لسبب غير الزنا ، فإنه طلاق باطل ، و يعتبر الزواج الأول قائماً . وإن تزوجت المرأة بغير رجلها الأول تكون كمن تجمع بين رجلين ، وتعتبر زانية .

وإن كانت المرأة قد طلقت لزناها ، فعقو بتها أن تبقى بلا زواج . لا يصح أن تؤتمن على زواج جديد . وإن إحتج البعض بأن السيد المسيح قد غفر للزانية ، نقول إن هذه المغفرة تنقذها من الهلاك الأبدى ، أما على الأرض فلا يصح أن تتزوج مرة أخرى حسب وصية السيد المسيح الغفور نفسه الذى وضع هذه الشريعة .

٣ ـ الزواج بالمحرمات :

يعتبر زنا أن يتزوج رجل بإمرأة لا تحل أن تكون له زوجة ، ومن هذا القبيل وقوف يوحنا المعمدان فى وجه هيرودس قائلاً له : « لا يحل أن تكون لك إمرأة أخيك » (مر ٦ : ١٨) . وقد وردت قائمة بالمحرمات فى سفر اللاو يين (١٨ : ٦ ـ ١٨) . وقوانين المحرمات محفوظة فى الكنيسة ...

٤ ـ التسرى وتعدد الزوجات :

هذا الأمر محرم فى المسيحية ، و يدخل فى نطاق الزنا . وقد تحدثنا عن هذا الأمر بالتفصيل فى كتاب (شر يعة الزوجة الواحدة فى المسيحية) ...

وسائل العلاج

تتركز وسائل العلاج من هذه الخطية فى نواح سلبية وأخرى إيجابية ...

أما النواحى السلبية فهى الهروب من الخطية ، بالبعد عن جميع المثيرات والمعثرات ، والهروب أيضاً من الفراغ ...

أما النواحى الإيجابية فهى إستغلال طاقة الإنسان وعاطفته فى الروحيات ، بمحبة الله التى تطرد محبة الخطية . ومحبة الناس التى تغنيه عن كل محبة خاطئة ...

الهروب من جميع المثيرات والمعثرات :

أهم وسيلة للعلاج من خطية الزنا هى الهروب ، وفى ذلك يقول الحكيم متعجباً : « أيأخذ إنسان ناراً فى حضنه ولا تحترق ثيابه ؟! أو يمشى إنسان على الجمر ولا تكتوى رجلاه ؟! هكذا من يدخل على إمرأة صاحبه » (أم ٦ : ٢٧ - ٢٩) .

ولا تظن أن التعرض للخطية نوع من الشجاعة . كلا ، بل هو نوع من المخاطرة الخطرة ، والرغبة فى ذلك تدل على عدم نقاوة القلب . والذى يهرب من المعثرات هو الطاهر الذى لا يتجاوب معها ...

عليك أن تهرب من كل ما يتعبك و يسبب لك السقوط ، ذاكراً قول الكتاب : « أذكر من أين سقطت وتب » (رؤ ٢ : ٥) . أهرب من المناظر المعثرة ، ومن السماعات ، والقراءات ، والزيارات والمقابلات التى تجذبك إلى الخطية . وأهرب من الصداقات والمعاشرات الرديئة . إن صديقك الحقيق هو الذى يقربك إلى الله ...

إذا حوربت بأحلام دنسة بالليل ، فلا تعاود ذكرها فى فكرك أثناء النهار، لئلا تصير لك عثرة ...

واحترس من أن يأتيك فكر الخطية عن طريق توبيخ نفسك بتذكر خطاياك ، وإن أردت أن تضع خطيتك أمامك فى كل حين ، تذكر خطيتك بصفة عامة ، ولكن إحذر كل الحذر أن تدخل فى تذكار التفاصيل . لأن الخطايا الشهوانية بالذات يمكن أن يرجعها تذكار تفاصيلها . ولعل مثل هذا هو ما يقصده الأب الكاهن فى صلاة الصلح فى القداس الإلهى عندما يقول : « تذكار الشر الملبس الموت » ...

إهرب من مادة الخطية . فالقديسون يقولون إن القريب من مادة الخطية تكون له حربان ، حرب من الداخل وأخرى من الخارج . والقريب من مادة الخطية سهل السقوط . كإنسان قريب من بئر يمكن لعدوه أن يسقطه فيه . أما إن كان بعيداً عن البئر، فإن عدوه الذى يريد أن يسقطه ، قبل أن يتمكن من جره إليه ، يكون الله قد أرسل إليه من ينقذه ...

وإهرب أيضاً من نفسك إن كان الإنفراد بها يقودك إلى السقوط . وإعلم أن الوحدة ليست هى مجرد الإنفراد ، وإنما هى الجلوس مع الله والإنفراد به . فجلوسك مع الناس خير من جلوسك وحدك مع الشيطان ومع أفكار النجاسة .

الهروب من أفكار الخطية :

أولاً ، إهرب من كل ما يسبب لك فكر الخطية .

وإن أتتك أفكار الخطية ، فقاومها ولا تستسلم لها . وضع أمامك قول الرسول : « مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح » (٢ كو ١٠ : ٥) .

ويمكن أن تقاوم فكر الخطية بأن تشغل ذهنك بفكر آخر يحل محله : بصلاة ، بتأمل ، بقراءة ، بمذاكرة . بالتفكير فى أية مشكلة مالية أو إجتماعية أو فى أى مشروع نافع . وكلما كان الفكر الجديد عميقاً وقوياً ومركزاً ، كلما استطاع أن يطرد الفكر الأول الدنس ...

وإن لم تقو على رد الفكر بالفكر ، إنشغل فى عمل يدوى أو فى أية تسلية بريئة ...

وكل هذا يبدد الفكر ولا يدهعه ينفرد بك ...

وإن استمر الفكر يتعبك ، إنشغل بالحديث مع الناس . فإنك لا تستطيع أن تتحدث معهم وتفكر فى فكر الخطية فى نفس الوقت ...

الهروب من الإنجراف فى التيار :

ليس عبثاً أن الكنيسة أعطتنا فى أول النهار أن نصلى فى صلاة باكر هذا المزمور : « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس » . لذلك إهرب من البيئة الشريرة لئلا تنزلق فيها .

ربما يكون لك بعض زملاء عابثين ، يدعونك إلى العبث معهم . وإن لم توافقهم يشبعونك تهكما . على الرغم من كل هذا ، لا توافقهم ، ولا تنجرف فى تيارهم .

إحتفظ بمبادئك الروحية ، وليقل الناس عنك ما يقولون . لا تمش فى طريق الخطية خوفاً من كلام الناس ، فإن كلام الناس لا يمثل الكمال الذى تسعى إليه ، وليس هو عذراً ينقذك فى اليوم الأخير . والإنسان القوى فى شخصيته هو الذى يقود وليس الذى يقاد ...

لا يصح أن نتبع العالم فى ترفيهاته وفى أزيائه وفى عبثه وفى هزله وفى إباحيته ، فالرسول يقول لنا : « لا تشاكلوا هذا الدهر» (رو ١٢ : ٢) أى لا تكونوا شكله وشبهه ، فأنتم صورة الله ومثاله .

إحذر من الإستسلام :

إحذر من الخطوة الأولى . فإن كل خطوة فى الخطية قد تقود إلى خطوة أخرى . فإن وقعت فى أية خطوة من خطوات الخطية ، لا تيأس ، ولا تستسلم إلى غيرها . ولا تقل فى نفسك « لا فائدة . ها قد سقطت » . إن اليأس يضعف إرادتك ، ويجعلك تستسلم ، فأحترس منه .

إن هذه الخطية لا تستريح حتى تكمل، فلا تعطها فرصة لأن تكمل . إن وقعت فى الزنا بالنظر أو بالسمع ، إندم على ذلك ولا تتطور إلى الزنا بالفكر . وإن وصلت إلى الزنا بالفكر . أهرب ولا تتطور إلى الزنا بالقلب والشهوة . وإن وقعت فى الشهوة فلا تكملها بالفعل . جاهد وقاوم متذكراً توبيخ الرسول لنا بقوله : « لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية » (عب ١٢ : ٤) .

قال مار إسحق : [ليس الجنود المنتصرون فقط هم الذين يكللون ، بل أيضاً الجنود الذين ضربهم العدو وكسر أعضاءهم ، ماداموا قد صمدوا فى القتال ، واستبسلوا ولم يستسلموا له] . فكن كذلك .

أهرب من الفراغ :

من أكبر الأمور محاربة للشباب ، الفراغ والكسل . وعلى العكس فإن الإنسان المشغول لا يكون متفرغاً للتفكير فى مسائل الجنس . وهو أيضاً غير متفرغ للجلوس فى مجالس العبث والمجون . لذلك فغالبية المشغولين غير محاربين بالخطية .

ان الطالب المجتهد المواظب على دروسه ، لا تترك له المذاكرة والإهتمام بمستقبله أى مجال للتفكير فى الخطية . وإذ هو مستريح من هذه الأفكار يتفرغ للمذاكرة بالأكثر ، وهذه تقوى تلك ...

لذلك كن إنساناً منتجاً ، إنساناً يعرف قيمة وقته وقيمة حياته ، ويستغل كل دقيقة للخير . إنشغل بعملك ، وبصلواتك وإجتماعاتك الروحية ، وبالخدمة ، وبالقراءة والإطلاع . وكل هذا سوف لا يترك لك فرصة للتفكير فى الخطية . كما أن العمل الكثير يستهلك الطاقة الزائدة عند الشاب ، ولا يدعها تحاربه جنسياً ، هذه الطاقة التى قد يكون مصدرها حرارة الشباب الطبيعية أو كثرة الطعام ودسمه فى فترة النمو .

وكل هذا يجعلنا نتدرج إلى الكلام عن العلاج الإيجابى لهذه الخطية ... بمحبة الله والناس ...

محبـــــة الله :

إن محبة الله إذا ملكت قلب الإنسان ، فإنها تطرد منه محبة الخطية ، بل تجعله يكره الخطية و يشمئز منها ولا يتأثر بها . وتأتيه مشاعر روحية تعطيه قوة لمقاومة الخطية .

فلكى ينجو الإنسان من الزنا ، لا يكفيه فقط الهروب من أسبابه ، وإنما يلزمه أيضاً تحصين قلبه من الداخل بمحبة الله . و يأتى ذلك بالمواظبة على وسائط النعمة من صلاة وتأمل وقراءة للكتاب المقدس والكتب الروحية وسير القديسين ، والمواظبة على حضور الكنيسة والقداسات والإجتماعات الروحية والمواظبة على محاسبة النفس وعلى الإعتراف والتناول ، وأيضاً الإهتمام بالصوم و بالمطانيات والخدمة . والإنتفاع من الصداقات الروحية والقدوات الحسنة ...

وبهذه الوسائط الروحية يتنق قلبه ، و يقوى من الداخل ، وإن أتته حرب يقاوم ولا يسقط . وإن ضعف وسقط يكون سقوطه أخف ، وسرعان ما يقوم و يندم ...

الطـاقة والعـاطفة :

إن المشكلة الجنسية كلها تتركز فى التوجيه الخاطىء أو التوجيه الجسدانى لهاتين النقطتين : الطاقة والعاطفة .

فالطاقة حرارة زائدة فى الجسد هى من خواص سن الشباب وإذا لم يحسن توجيهها فما أسهل عليها أن تدمره جنسياً . وقادة الشباب ورجال التربية يحاولون إستهلاك هذه الطاقة عن طريق الرياضة البدنية والرحلات ونواحى النشاط المختلفة للشباب فكرياً وجسدياً . بينما رجال الروح يهمهم إستغلال هذه الطاقة فى العبادة والخدمة والأمانة فى العمل والنشاط داخل الكنيسة ...

أما من جهة العاطفة ، فإن سن الشباب سن عاطفة وإندفاع ، وبخاصة لو كان الشخص عاطفياً وحساساً بطبعه . يضاف إلى هذا أن البعض قد يكون محروماً من هذه العاطفة فى بيته أو بيئته ، وقد يكون لأسباب خاصة محروماً من الحب والعطف والحنان والتجاوب العاطفى ، ومشكلته هى التعويض عن كل هذا بطريقة خاطئة .

أما الإنسان الشبعان عاطفياً ، فإنه يكون أقل تعرضاً للسقوط من الناحية الجنسية . فيجب إشباع عاطفة الشباب بطريقة روحية سليمة .

وأفضل وسيلة لهذا هى محبة الله التى لا يوجد أعمق منها ، والتى عندما وجدها أناس تركوا الأهل والأصحاب والمال والمراكز وكل شىء من فرط محبتهم للملك المسيح . وترتبط بمحبة الله محبة الكنيسة والغيرة عليها والإلتهاب من أجل خلاص أنفس الناس ووصولهم إلى الرب والتصاقهم به . ومن هنا كانت الخدمة عاملاً أساسياً فى إشباع الإنسان عاطفياً على مستوى روحى أعلى وأعمق بكثير من المستوى الجسدى .

وعموماً نرى الأشخاص المداومين على وسائط النعمة . والملتصقين بمحبة الله ، والنشطاء فى الخدمة هم أقل سقوطاً فى الناحية الجنسية .

وعندما تضعف روحيات الإنسان ، تبدأ الخطية أن تحاربه .

إن مجرد زيارة مريض ، أو تعزية حزين ، أو الجلوس مع الأطفال فى مدارس التربية الكنسية ، أو الجلوس مع الأطفال فى أحد الملاجىء ... كافية لملء القلب بمشاعر سامية قادرة على نسيان كل ما يتعلق بالمسائل الجنسية ... إنما يشترط أن يواظب الإنسان على الخدمة فى عمق وفى حب وبطريقة روحية ...

يبقى بعد ذلك ...

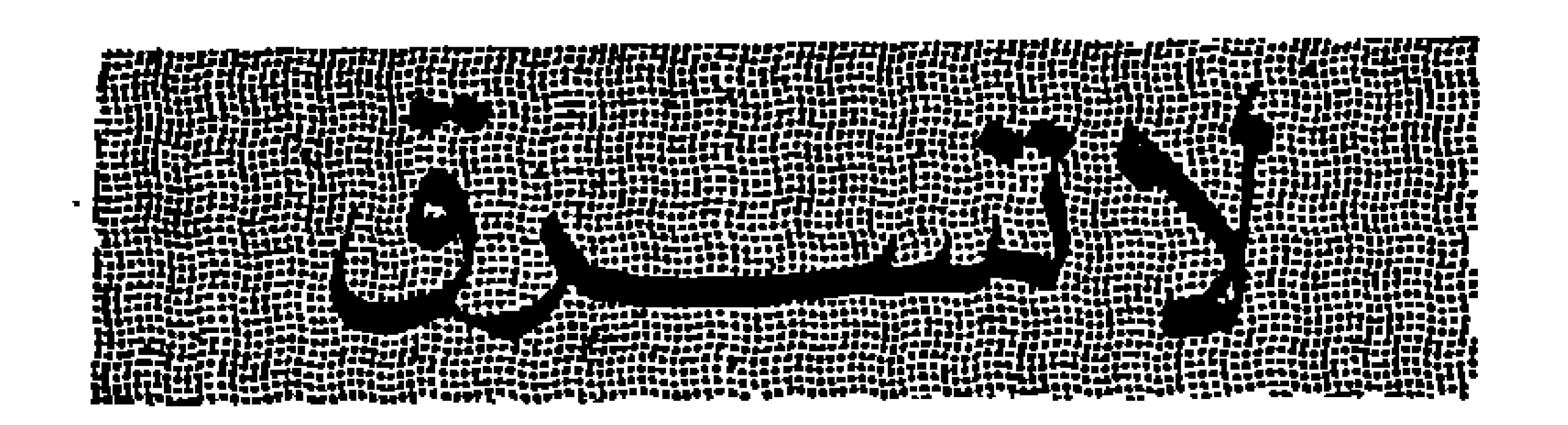
يبقى بعد ذلك أن نقول إن حياة الطهارة والعفة تحتاج إلى معونة خاصة من الروح القدس ، ويأتى ذلك بالحياة الروحية والمداومة على الصلاة .

وتحتاج أيضاً أن يبعد الإنسان عن إدانة الآخرين . لأنه بادانة الآخرين يحدث أن تتخلى النعمة قليلاً عن الإنسان فيسقط حتى يشعر بضعفه فلا يدين غيره .

* * *

إلهنا الصالح الحنون الذى منح العفة لأوغسطينوس وبيلاجيه ومريم القبطية وكثيرين من الذين سقطوا ، هو قادر أن يمنحها لكل شعبه وبخاصة المحاربين والمذلين





« لا تسرق » (خرو ٢٠ ، ١٥ ؛ تث ٥ : ١٩) .

« لا سارقون ولا طماعون ... ولا خاطفون ، يرثون ملكوت الله » (١ كو ٦ : ١٠)

الفصل الأول

ما هى السرقة ـ ممن تسرق

ماهى السرقة ؟

■ **إن السرقة ليست هى بصفة عامة أخذ مال الغير**. فإن تلاميذ الرب ـ لما جاعوا ـ قطفوا السنابل من الحقل، ولم يوبخهم أحد على ذلك. وإنما كان إنتقاد الفريسيين عليهم مركزاً فى نقطة واحدة، وهى أنهم فعلوا ذلك فى يوم سبت (مت ١٢ : ١ ، ٢). فكون إنسان جائع يفرك بعض السنابل فى الطريق ويأكلها، كان أمراً مسموحاً به. وفى ذلك تقول الشريعة : « إذا دخلت كرم صاحبك، فكل عنباً حسب شهوة نفسك، شبعتك. ولكن فى وعائك لا تجعل. إذا دخلت زرع صاحبك، فأقطف سنابل بيدك، ولكن منجلا لا ترفع على زرع صاحبك » (تث ٢٣ : ٢٤)

السرقة إذن ليست هى أخذ مال الغير، وإنما هى سلب مال الغير. فأخذ مال الغير برضاه أو بسماحه أو بجوده، ليس سرقة ...

وقد تحدث السرقة فى الخفاء، دون علم المسروق، كما يفعل المختلسون، كيهوذا الذى كان يأخذ من الصندوق خفية دون علم التلاميذ (يو ١٢ : ٦)، وكما ينقب السارقون ويسرقون (مت ٦ : ١٩)، فى غيبة أصحابهم، أو نومهم.

ولكن إن كانت بينك وبين صديق محبة كبيرة وخلطة ودالة، واحتجت إلى شىء من أشيائه وأخذته، وهو لا يمانع مطلقاً فى ذلك لو كان حاضراً، فهذا لا يعد سرقة، على شرط أن تبلغه بأنك أخذت ذلك الشىء وتستسمحه فيه.

■ وتحت بند عدم العلم، تدخل أيضاً أنواع السرقة التى **تحدث عن طريق الخداع، أو الاحتيال. أو التزوير، وما أشبه**.

ففى هذا كله لا يكون المسروق على علم بحقيقة الأمر من جهة ما يؤخذ منه. وفى هذه الأنواع تضاف إلى السرقة خطية أخرى هى الكذب ...

■ **ولكن قد تحدث السرقة أيضاً علناً ، أمام عيني المسروق وتحت** سمعه وبصره ، ولكن بدون رضاه : كالإستيلاء على مال الغير بالقوة ، بالقهر أو بالاغتصاب ، أو ما يسمونه : (السرقة بالإكراه) ، مثلما يعمل الخاطفون وقاطعوا الطريق وقراصنة السفن... هؤلاء الذين قد تمتزج سرقتهم أحياناً بالإيذاء ...

■ والسرقة لا تقتصر فقط على عامل الأخذ ، وإنما يدخل فيها أيضاً **عامل الإتلاف** . والذى يتلف لأحد شيئاً ، إنما يكون قد ضيع شيئاً من ماله . ويدخل هذا تحت عنوان السرقة ، وبخاصة إن كان الإتلاف متعمداً ، وفى هذه الحالة تنضم إلى السرقة خطية أخرى هى عدم المحبة . وعلى العموم ينبغى للشخص الذى أتلف لأحد شيئاً أن يصلحه له أو يعوضه عنه .

والإتلاف المتعمد حالة أبشع . فالسارق قد يستفيد شيئاً مادياً من وراء سرقته ، أما الذى يتلف ما يملكه غيره ، عن عمد ، فهذا لا يقصد شيئاً سوى إشباع الحقد .

ويدخل فى هذا البند أيضاً إتلاف الملكية العامة كالمظاهرات التى تحطم مصابيح الطرق مثلاً أو الأشجار أو عربات المواصلات . هذه تعتبر أيضاً سرقة ولكن لأموال الدولة أو لممتلكات الشعب .

■ **والسرقة على العموم هى عدم إحترام لحقوق الغير وملكيته .**

■ **والسرقة تدل على خسة نفس السارق وعدم أمانته** ... إنها تحطم شخصيته فى نظر الناس ، وتدعوهم إلى الإحتراس منه ، وإلى إحتقاره ، وعدم الخلطة به ... بل تجعل السارق ذاته حقيراً فى عينى نفسه .

ولكن لا يجوز أن ننظر إليها بهذه النظرة فى حالة الأطفال الصغار الذين لا يستطيعون أن يميزوا الملكية الخاصة أو حقوق الغير وإنما يرون كل شيء أمامهم مشاعاً يأخذون منه ببساطة دون شعور بإثم . وقد يأخذ الطفل شيئاً ليس له ، ويعمل ذلك خفية ، ولكن ليس عن شعور بالسرقة ، وإنما خوفاً من أن يؤخذ منه ...

ولكن بمرور الوقت ، وبعامل النمو ، النمو العقلى والنفسى والتربوى ، يبدأ الطفل فى إدراك معنى الملكية الخاصة وإحترام حقوق الغير، وإن أخذ ما لغيره يحس وخزاً فى ضميره ويشعر بالخطأ . وعندئذ يعتبر عمله سرقة ...

■ **والسرقة قد تكون أحياناً نوعاً من المرض ، مجرد مرض نفسى . يحتاج مثل**

هذا المرض إلى علاج لا إلى عقاب . وفى حالة هذا المرض نجد أن السارق قد يأخذ أشياء لا يحتاج إليها مطلقاً ، أو لا يعرف كيف ينتفع بها . وإنما يجد لذة فى الإحتفاظ بها ، ولذة فى أخذها من غيره . وقد يكون مدفوعاً إلى السرقة بعوامل داخلية فوق إرادته ، وقد يبكى أحياناً لأنه يفعل هذا ، ولكنه لا يستطيع أن يقاوم نفسه .

يحتاج مثل هذا إلى علاج ، وإلى البحث عن أسباب مرضه وجذورها فى نفسه وفى تاريخ حياته و بيئته وأسلوب تربيته .

إن المال الحرام الذى يحصل عليه السارق كفيل بأن يضيع المال الحلال الموجود معه من قبل . وعلى رأى المثل (الحرام يأخذ الحلال و يضيعه) . إن السرقة نار للسارق نفسه ، تتلف ما معه . إنه مثل إنسان تناول طعاماً فاسداً : فما أن نزل هذا الطعام إلى جوفه ، حتى تقيأ كل ما فى داخله من جيد ورديء ...

ما أجمل أن يعيش الناس معاً بالأمانة ، فى ثقة متبادلة واطمئن : يترك الإنسان أى شيء له فى أى مكان ، فيجده حيث هو . و يترك بيته مفتوحاً ، فلا يأخذ أحد منه شيئاً ... وإن نسى خطاباته أو أسراره فى موضع ، يكون مطمئناً أنه لن يسمح أحد لنفسه بأن يطلع على شيء منها ...

■ **وقد كانت السرقة تعتبر خسة وكانت محتقرة ومكروهة من الناس ، حتى قبل الشريعة ، قبل أن يقول الله : «لا تسرق» .** وهذا يدل على أن الإنسان بطبعه ، بحكم ضميره ، ينفر من هذا الأمر .

عندما لحق لابان بيعقوب وإتهمه قائلاً : « لماذا سرقت آلهتى ؟ » (يقصد أصنامه) ، شعر يعقوب ببشاعة التهمة وأجابه : « الذى تجد آلهتك معه لا يعيش » (تك ٣١ : ٣٠ ، ٣٢) . وهكذا حكم على السارق بالموت ، و بأنه لا يستحق الحياة ، وذلك قبل الشريعة . ومثل هذا الحكم نفسه نجده فى قصة يوسف مع أخوته . فعندما إتهم أخوة يوسف بسرقة كأسه ، إشمئزوا من التهمة جداً ، وأجابوا فى أنفة وعزة نفس : « لماذا يتكلم سيدى مثل هذا الكلام ؟! حاشا لعبيدك أن يفعلوا مثل هذا الأمر... الذى يوجد معه من عبيدك يموت ... » (تك ٤٤ : ٧ - ٩) .

■ إن السرقة خطيئة تخجل من ذاتها ، لذلك تعمل فى الظلام . صاحبها يشمئز منها و يتبرأ ، ويحاول أن ينفيها عن نفسه . ولذلك نقول :

« ان سار شيطان السرقة فى طريق ، يقول له شيطان الكذب : خذنى معك » .

من الصعب أن نجد سارقا لا يكذب ليغطى سرقته ، وقد يكذب لكى يتمكن من اتمام السرقة . قد يكذب أثناء السرقة أو قبلها ، لكى يخدع المسروق و يتمكن من سرقته ، كما فى حالة الغش فى التجارة . أو يكذب على من يراقبه أو من يشك فيه

وما دامت السرقة تلجأ الى الكذب ، فيجب على آباء الاعتراف أن يلتفتوا إلى هذة النقطة جيدا . فمن يعترف بخطية سرقة ، يجب أن يسألوه أيضا عن علاقته بالكذب .

وتزداد خطية السرقة ثقلاً بعاملين :

١ ـ مقدار الضرر الذى يحدث للمسروق .

٢ ـ شخصية المسروق ذاتها ، وبخاصة لو كان المسروق فقيرا ومحتاجا ، أو لو كان المسروق مقدسا . لذلك علينا أن نسأل :

ممن تسرق ؟

فكلما كان المسروق فقيراً ومحتاجاً . كانت الخطية أعظم . لذلك كانت خطية بشعة جداً أن يسلب أحد مال اليتيم أو الأرملة مثلاً . ولهذا وبخ السيد المسيح الكتبة والفريسيين قائلاً : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . لذلك تأخذون دينونة أعظم » (مت ٢٣ : ١٤ ؛ مر ١٢ : ٤٠) .

ولا يقاس ثقل السرقة بمقدار قيمة الشيء المسروق ، وإنما بمقدار أهميته للشخص الذى سرق منه ... كالذى يسرق إبرة الخياط ، أو فرشة الرسام ... ما قيمة الأبرة أو الفرشة ؟ قد لا تساوى شيئاً ، ولكنها ذات قيمة حيوية لصاحبها ، وقد يتعطل عمله أو رزقه بسببها ...

وقد لا يكون للشيء المسروق قيمة فى ذاته ، ولكنه يمثل لصاحبه ذكرى عزيزة أو أهمية خاصة بحيث ان فقده يحدث فى قلبه ألماً عميقاً ، ومن الصعب أن يعوضه بغيره .

والسرقة من إنسان محتاج تدل على عدم حساسية فى قلب السارق ، مثال ذلك من يأخذ رباً أو رهناً من إنسان لا يجد قوته الضرورى ، فكأنه يسلبه طعامه وطعام أولاده ... إن هذا الفقير لولا عوزه ، ما كان يلجأ إلى القرض أو الرهن . فهل يليق ـ بدلاً من مساعدته بروح المحبة ـ أن يقرضه إنسان بالربا ؟!

إن هذا الربا هو سرقة خالية من الرحمة ، لذلك حرمه الرب كما حرم رهن الضرور يات ، فقال : « إن أقرضت فضة لشعبى الفقير الذى عندك ، لا تضع عليه رباً . إن إرتهنت ثوب صاحبك ، فإلى غروب الشمس ترده له ، لأنه وحده غطاؤه ، هو ثوبه لجلده ، فيكون إذا صرخ إلىّ إنى أسمع لأنى رؤوف » (خر ٢٢ : ٢٥ - ٢٧) .

وقال أيضاً : « وإذا إفتقر أخوك وقصرت يده عندك ، فأعضده غريباً أو مستوطنا فيعيش معك . لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة ، بل إخش الرب إلهك فيعيش أخوك معك . فضتك لا تعطه بالربا . وطعامك لا تعط بالمرابحة ... » (لا ٢٥ : ٣٥ - ٣٧) .

وقال أيضاً : « لا تقرض أخاك بربا : ربا فضة ، أو ربا طعام ، أو ربا شىء ما مما يُقرض بربا » (تث ٢٣ : ١٩) .

إن المال الزائد الذى يأخذه مرابٍ من إنسان فقير ، هو سلب لحاجياته الضرورية . وهو غير الربا الذى تدفعه البنوك والمصارف التى تتاجر بمال المودعين وتقيم مشروعات إقتصادية وتربح ثم تشركهم فى ربحها ... لأنهم شركاء فى رأس المال .

إن كان هذا الربا الذى يؤخذ من الفقير يعتبر سرقة وسلباً ، على الرغم من أن غير الرحومين يسبغون عليه صفة شرعية ، فماذا نقول إذن عن بشاعة السرقة الواضحة التى فيها ينقب لص بيت أرملة أو فقير محتاج ؟!

وإن كنا قد تكلمنا كثيراً عن بشاعة السرقة من الفقراء ، فليس معنى هذا أن السرقة من الأغنياء حلال أو أمر ليس بذى بال !! كلا ، وإنما نقول إنه إن كانت السرقة من إنسان غنى له ما يفيض عن حاجته ، هى جريمة وخسة ، فكم بالأولى من يسرق من الفقراء والمعوزين أو من يظلمهم فى رزقهم ... !!

■ وإن كانت السرقة من الأشخاص العاديين أمراً بشعاً فماذا عن السرقة من الكنيسة أو من الكهنة ؟

إن سرقة المقدسات شىء خطير ، وسرقة الهياكل والكنائس أمر لا يتصوره عقل . لذلك نجد الكنائس فى كثير من بلاد أوربا مفتوحة على الدوام ، بلا حراس ، بكل ما فيها . لا يتصور أحد ولا يتخيل أن آدمياً يسمح له ضميره أن يدخل إلى بيت الرب و يسرق منه شيئاً ... إنها مقدسات ، فى بيت الله ، كل من يدخله يملكه الخشوع والرهبة والرغبة فى التوبة .

لذلك ماذا نقول عمن يسرق من الكنيسة شمعاً أو كتباً أو لفائف أو ما شاكل

ذلك ؟ **لا عذر له إن قال أنه يأخذ شيئاً كبركة ! فالبركة لا تأتى بالسرقة ...**

بل ماذا يمكن أن يقال فيمن يسرق من مال الكنيسة أو أوقافها ، ويبوتاً ، ويستبيحه لنفسه ولبيته ؟! وهو مال الله ، ومال الفقراء ومال مقدس ...

بل ماذا نقول عمّنْ يسرقون أجساد القديسين وعظامهم وذخائرهم ، ويتقلونها خلسة إلى كنائسهم أو إلى بلادهم بحجة البركة ؟! ... إن جسد مار مرقس كان قد سُرق فى القرن التاسع ، والذين سرقوه برروا عملهم أمام ضمائرهم بأنهم أخذوه على سبيل البركة ! ... ما أكثر ما سرق من مخطوطات الأديرة والكنائس القديمة باسم حب العلم والمعرفة ... إنها أعذار ، ولكنها لا تبرر...

■ **وأبشع من الكل ، ماذا يقال فيمن يسرق من الله ذاته ؟**

والإنسان يسرق من الله عن طريق تقصيره فى دفع العشور والبكور والنذور ، وقد شُرح هذا الأمر فى سفر ملاخى النبى حيث قيل :

« إرجعوا لى أرجع إليكم ، قال رب الجنود ، فقلتم بماذا نرجع ؟ أيسلب الإنسان الله ؟ فإنكم سلبتمونى . فقلتم بم سلبناك ؟ فى العشور والتقدمة ... هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون فى بيتى طعام ، وجربونى بهذا قال رب الجنود » (ملا ٣ : ٧ - ١) .

هذا المال الذى نسلبه من الله ، والذى يخص الفقراء ونحفظه لأنفسنا ولا نعطيه لأصحابه الفقراء ، **هو مال الظلم** الذى قال عنه الرب : « اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم » (لو ١٦ : ٩) . أى المال الذى نستبقيه فى جيوبنا ونحن لا نملكه ، بل يملكه الفقراء الذين ظلمناهم ولم نعطهم إياه وهو من حقهم . لذلك فهو مال ظلم يجب أن نرجعه لأصحابه ، فنكسب أصدقاء يصلون من أجلنا ...

وكما نسرق من الله مال الكنيسة ومال الفقراء ، نسرق منه الوقت أيضاً ...

ان لله وقتاً من حياتنا ، نسلبه إياه ونقضيه فى مشاغل أخرى . ومن أمثلة ذلك :

أ - يوم الرب : للرب يوم فى الأسبوع ، ملكه هو وليس ملكنا نحن ، ليس من حقنا أن نستغله كيفما نشاء . هو مكرس لخدمة الرب وعبادته . فإن قضيناه فى غير ذلك ، نكون قد سرقنا من الرب يومه .

نقطة أخرى . وهى أن الدولة هنا فى مصر تمنح غالبية الموظفين المسيحيين عطلة ساعتين فى صباح كل أحد [من الثامنة حتى العاشرة صباحاً] الحكمة فى هذا أن

تعطى لهم فرصة لحضور القداس الإلهى . فإن كان الموظف المسيحى لا يذهب إلى الكنيسة فى صباح الأحد ، و يقضى هاتين الساعتين حسبما يريد فى بيته أو فى أى عمل يروقه ، فإنه يكون قد سرق وقت الرب المخصص له .

ب ـ **وقت العبادة** : وكما أن للرب يوماً كل أسبوع ، كذلك له أوقات فى كل يوم ينبغى أن تخصص للصلاة والتأمل والمطانيات ، ولقراءة الكتاب المقدس والكتب الدينية ، ولحضور الإجتماعات الدينية ، وللخدمة . فإن كانت مشاغل العالم تبتلع حياتنا ، فلا تبقى لنا فرصة للعبادة ، نكون قد سلبنا الله وقته . وكما أن لله البكور من أموالنا . كذلك له بكور وقتنا أيضاً . ولهذا قال المرتل : « يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر ، عطشت نفسى إليك » (مز ٦٣ : ١) . وقال الله : « الذين يبكرون إلىّ يجدوننى » (أم ٨ : ١٧) . فإن كنا نبدأ صباح كل يوم بغير الله ، ونشغل بغير عبادته . نكون قد سلبناه بكوره فى الوقت ...

جـ ـ **مواسم الرب وأعياده** : لله أوقات أخرى ينبغى أن تخصص له فى مواسم معينة : مثل أسبوع الآلام الذى كان ينقطع فيه آباؤنا للصلاة والألحان والقراءة فى الكنيسة ، ومثل سهرات كيهك التى كانت تخصص للتسابيح والمدائح ومثل الأعياد وسائر الأيام المقدسة . وكل هذه ينبغى أن نتفرغ فيها للرب ، ولا نسلبه وقته ...

الفصل الثانى

سرقات طفيفة

ما هو السارق ؟

ليس السارق هو مجرد الإنسان الذى ينقب جداراً ، أو يدخل بيتاً فى غيبة أصحابه ، أو ينشل من جيوب الناس ... إنما معنى السرقة قد يتسع جداً حتى يشمل كثيرين من الذين لهم أسماء شريفة فى أعين الكل ، و يشمل أموراً تعيش تحت أسماء مزيفة غير إسم السرقة .

وقد تبدأ هذه الخطية بسرقات تبدو طفيفة . لأن الذين يقعون فيها لا يشعرون بإثمهم ، وقد يفعلونها أمام الناس بلا خجل ...

سرقات فى محيط الأطفال والأزواج :

قد يتعود الطفل أن يأخذ أشياء غيره بدون إذنه و بدون علمه ... كالطعام واللعب .

وقد لا يدرك فى بادىء الأمر أنها سرقة ، ولكنه يحس هذا عندما يكبر، فيتركها أو يستمر فيها وهو شاعر بإثمه ... ثم تزداد السرقة عنده شيئاً فشيئاً عندما يأخذ أشياء فى الخفاء من أصدقائه وزملائه فى اللعب أو فى المدرسة ...

وعلينا فى هذه المرحلة من السن أمران :

١ ـ أن لا نحرم الطفل حرماناً يجعله يأخذ فى الخفاء فيسرق .

٢ ـ أن نعوده الصراحة بحيث يكشف باستمرار ما يأخذه فى الخفاء دون ان نعاقبه على ذلك ، أو نسترجعه منه إلاَّ فى الضرورة ، مع التوجيه اللازم حينما يلزم ذلك .

وقد توجد السرقة بين الأزواج ، وتمتزج بالكذب أيضاً ... فالزوج يخفى عن المرأة حقيقة إيراده ، و ينقص من قيمته . والزوجة تخفى عن الزوج حقيقة مصروفاتها . وتزيد مقدارها فى الغالب ...

وعلاج هذا الموضوع يحتاج إلى جو من الصراحة والتفاهم والتعاون ، والشعور بأن كل ما يملكه الزوج هو ملك للزوجة ، وكل ما فى يد الزوجة هو ملك لزوجها ، مع تقدير لوجهة نظر الطرفين من حيث المطلوبات ، والإمكانيات .

سرقات أخرى تبدو طفيفة :

كثير من الموظفين يستخدمون أحياناً بعض الأوراق البيضاء الخاصة بالعمل فى إستعمالهم الخاص ، وهذه الأوراق ليست من حقهم ، مهما كانت زهيدة فى ثمنها . وهذا أمر لا يليق . ويتدرج تحت هذا أيضاً أية أدوات أخرى ...

وبعض الموظفين الكبار يستخدمون عربات الدولة فى تنقلاتهم الخاصة ، ويكلفون الدولة وقود العربة وإستهلاكها وأجرة السائق من أجل أنفسهم بدون وجه حق . وكذلك يستغل بعضهم بعض الخدم والعمال فى خدمته الخاصة ... والعجيب أن كل هذه الأمور تبدو طفيفة جداً ، يفعلها « الشرفاء » دون أى إحساس بالإثم .

وينطوى تحت هذا العنوان أيضاً أن يركب أحدهم عربة عامة (أتوبيس) أو تراماً بدون أن يدفع أجرة محتجاً بأن الكمسارى - من فرط إنشغاله - لم يمر عليه . أو يستقل أحدهم القطار فى درجة أفضل من درجة تذكرته ، ولا يدفع فارق الثمن طبعاً ...

كلما كان الإنسان دقيقاً فى الأمور الصغيرة ، دل بذلك على حساسية ضميره . وعدم قبوله الخطية مهما بدت طفيفة ...

النســـيان :

كثير من أنواع السرقات الطفيفة يأتى عن طريق النسيان ، وبخاصة النسيان فى الاستعارة . كأن تستعير من أحد شيئاً ، وتنسى أن ترجعه له ، وينسى هو أن يطالبك . ويبقى هذا الشيء عندك بصفة دائمة حتى يصير كأنه ملكك بدون وجه حق .

ربما تدخل مكتبة أحد أصدقائك ويعجبك كتاب عنده فتطلبه منه لكى تقرأه وترجعه . وتطول مدة وجود الكتاب عندك ، ثم تنسى ممن أخذته ، ولا يكون صاحبك قد كتب عليه إسمه ، وينسى هو أيضاً من إستعاره منه ، ويضيع عليه هذا الكتاب ، ويبقى عندك كأنه لك بدون وجه حق . هذا يدخل أيضاً فى عداد السرقة غير المقصودة . وكثير من الناس فقدوا كتبهم بهذه الطريقة . وبالمثل أقلامهم أيضاً :

فى عجلة تريد أن تكتب شيئاً ، ولا تجد قلمك فتستعير قلماً من أحد الموجودين .

وبعد أن تكتب ، تضعه بحكم العادة فى جيبك ، دون أن تقصد . وتنساه عندك وينساه صاحبه .

لذلك ينبغى أن تكون ذاكرتك قوية ، أو تكتب مذكرة بما تأخذه من الناس ، أو تضع ورقة فى الكتاب بإسم صاحبه ... وإن كنت قد وقعت قبلاً فى هذه الأمور ، إكشفها أمام أصحابك ومعارفك . قل لهم عندى الكتاب الفلانى ، لست أدرى ممن أخذته . أو إنى أخذت قلماً من أحد المعارف ونسيته عندى . ربما أمثال هذه التنبيهات تكشف عن صاحبه ...

الفصل الثالث

السرقة فى التجارة

كثيراً ما يكون الضمير واسعاً فى أمور التجارة ، بحيث يبلع الجمل . و يظن مثل هذا التاجر أن هذه مهارة منه وفن يوصلانه إلى أكبر ربح ممكن .

ومن أمثلة السرقة فى التجارة ما يأتى :

١ ـ السرقة عن طريق الغش :

■ **كأن يبيع إنسان شيئاً به تلف ، على أنه شيء سليم ، مستغلاً عدم إكتشاف** الشارى للعيب الموجود فى هذه البضاعة . ما أنبل البائع الذى بكل أمانة ينبه المشترى إلى العيب أو التلف الموجود فى بضاعته ، حينئذ ستسمو منزلته فى عين من يشترى منه ، و يثق به .

يقول البعض ، أنه عند ذلك سوف لا يبيع . كلا ، إنه سيبيع ولكن بثمن يناسب العيب الموجود فى البضاعة ، إنه ثمن أقل ، ولكنه مال حلال فيه بركة ...

ماذا تقول فى فكرك عن بائع تشترى منه مثلاً فاكهة أو خضروات ، فيجهز لك كيساً يضع فى أسفله كميات كثيرة معطبة وفاسدة أو فجة ، يغطيها من فوق بكمية قليلة ينتقيها من صنف ممتاز ، تنخدع بها وتعطيه الثمن ، ولا تكتشف الخدعة إلاّ فى بيتك ! فتدرك أن هذا البائع غير أمين . ويمكن أن ينضم تحت عنوان بيع الأشياء التالفة على أنها سليمة ، من يبيعك أشياء مستعملة مدعياً أنها جديدة . أو من يتفق معك على صنف معين ، وعند التسليم يستبدله بشيء آخر أقل جودة أو أقل قيمة ...

■ **ومن الغش أيضاً أن يبيع التاجر شيئاً بغير إسمه ...**

كأن يبيعك مثلاً حريراً صناعياً على إعتبار أنه حرير طبيعى ، وأنت لست خبيراً بالحرير وأنواعه . أو يبيعك معدناً مطلياً بقشرة من ذهب ، على أنه ذهب خالص ، وبسعر الذهب ... و يدخل فى هذا أيضاً موضوع الحلى الزائفة وقطع الآثار المغشوشة ... أو يبيعك قلم حبر على أنه باركر ، وهوتقليد للباركر ، وليس له منه الإسم .

■ **كل هذا الغش سرقة ممزوجة بكذب ...**

وفيه يأخذ البائع ثمناً لا تستحقه بضاعته ، وفارق الثمن هو مال حرام مسروق من المشترى . و يزيد هذه الخطية بشاعة كلمات مصحوبة بدعاية كبيرة زائفة من البروباجندا التى تخدع المشترى .

▪ **ومن الغش الواضح الصريح غش المكاييل والموازين والمقاييس ...**

وهنا لا يكون الغش فى نوع البضاعة أوجودتها ، وإنما فى مقدارها ، إذا يأخذ المشترى كمية أقل من حقه .

٢ ـ السرقة بطريق الجشع ورفع الأسعار :

إن رفع الأسعار بطريقة غير معقولة ، يدخل فى نطاق السرقة ، لأنه إبتزاز لمال المشترى ... إن الله يسمح للتاجر أن يكسب فى حدود المعقول . أما الربح الفاحش ، المملوء من الجشع ، الخالى من الرحمة فلا يوجد دين يقره ...

▪ **وقد تأتى هذه السرقة عن طريق الإحتكار :** بأن يكون التاجر هو الصانع الوحيد أو المستورد الوحيد لهذا الصنف . أو الوكيل الوحيد المتعهد بيعه . وعندئذ يفرض أسعاراً باهظة ، مستغلاً حاجة المشترى . وهكذا ينهب أموال الناس . و يشترون وهم كارهون ومضطرون ...

▪ **وقد تحدث هذا السرقة عن طريق السوق السوداء ...**

وذلك بأن يخزن البائع عنده البضاعة حتى تنفذ من السوق ، وقد يشترى هو نفسه منها و يظل يخزن ، إلى أن تخلو منها باقى الأماكن ، عندئذ يكشف عن وجودها عنده و يفرض سعراً خيالياً لبيعها ، و يستغل حاجة المشترين إليها لكى و يبتز أموالهم ...

▪ **إنها أنواع من السرقة عن طريق الإستغلال ...**

إذ يستغل التاجر أنه البائع الوحيد ، والمشترى محتاج ، وعامل الوقت فى صالحه . فيفرض سعراً ، و يرغم الشارى على دفعه ، وتكون الزيادة الفاحشة نوعاً من السرقة .

٣ ـ سرقات بالتلاعب الإقتصادى :

توجد أمور أخرى تدخل فى نطاق السرقة مثل التلاعب بالأسواق . **كما يفعل التجار فى المضاربات ،** إذ يرفعون الأسعار أحياناً ويخفضونها أحياناً أخرى ، وفى وسط

ذلك يضيع كثير من التجار الصغار، وتبتز أموالهم لصالح المضاربين الكبار، كما كان يحدث قديماً فى أسواق القطن.

ومن أمثلة السرقة فى التجارة أيضاً، ما تفعله بعض البنوك أو المؤسسات أو الأفراد فى **إعلان إفلاس** مدبر ومقصود، يقضى على أموال جميع المساهمين...

وتدخل فى هذا أيضاً **المشروعات الإقتصادية الوهمية**. التى تُجمع فيها أموال الناس بدعايات مغرية، يتضح فيما بعد أنها أنواع من النصب تهدف إلى السرقة.

٤ - سرقة يقع فيها المشترى:

قد يكون السارق أحياناً فى عملية البيع، هو المشترى وليس البائع. وذلك عن طريق التشدد الزائد فى الثمن وبخاصة مع الباعة الفقراء.

ففى بعض الأحيان يكون البائع فقيراً، ومحتاجاً أن يبيع بضاعته بأى ثمن كان، من أجل أن يحصل على قوته الضرورى، أو من أجل مريض عنده فى البيت، أو من أجل أية ضرورة ملزمة له. فيضطر أن يبيع ما عنده سواء ربح أو خسر...

وقد يستغل المشترى حاجة البائع، فيفرض عليه ثمناً، لا يتفق مطلقاً مع قيمة ما يشتريه، ولا مع تعب البائع وحقه فى الربح الحلال. ومن الجائز أن يرضى البائع بالصفقة مضطراً، ويرتاح ضمير المشترى بهذا بينما يكون قد ظلم الرجل وسلبه رزقه

ولا يشترط فى مثل هذه السرقة أن يكون البائع المسكين قد خسر فى ما باعه، بل قد يكون هناك ربح ولكنه ضئيل جداً لا يكفى مطلقاً لقوته وقوت عياله. والسبب فى ذلك هو تشدد المشترى الذى سلبه ربحه، ومضى على الرغم من ذلك مستريح الضمير مبتهج القلب!... لذلك حسناً قال المثل: «الحسنة المخفاة هى فى البيع والشراء».

قال أحد الآباء: [إذا مضيت لتشترى شيئاً، فلا تتشدد فى الثمن كما يفعل العلمانيون. وإنما مهما قيل لك عن الشيء، **فزد على ثمنه قليلاً وخذه**]...

إن كثيراً من المساومات مع الباعة الفقراء تدل عل قساوة قلب المشترى.

إن هذا البائع الفقير يستحق صدقة منك، حتى دون أن تأخذ منه شيئاً. فلا أقل إذن من أن تمنحه هذه الصدقة عن طريق الشراء، دون أن تجرح شعوره...

وتأكد أن دعاء البائع الفقير لك هو أثمن من فارق الثمن.

الفصل الرابع

الظلم والتسخير

١ - التسخير ، والأجر البخس :

من ضمن أنواع السرقة ، التسخير.

أى أن شخصاً يسخر إنساناً آخر ، لكي يعمل له عملاً من غير أجرة ، فيكون قد سرق أجرته . أو أن يستأجره بأجر بخس ، دون الكفاف . فيكون قد سرق تعبه وعرقه ...

مثال ذلك ، فراش يشتغل عندك ، وتعطيه أجراً لا يكفي سكنه وطعامه ومصروف أولاده . مثل هذا الإنسان ألا تكون قد سرقت تعبه بل قتلته قتلاً ...

وقد وقف الله ضد التسخير أيام الفراعنة فقال الرب : « إني قد رأيت مذلة شعبي الذى فى مصر . وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم » (خر ٣ : ٧) .

كذلك بالنسبة إلى الأجور البخسة ، يقول القديس يعقوب الرسول : « هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم ، المبخوسة منكم ، تصرخ ، وصياح الحصادين قد دخل إلى أذني رب الجنود » (يع ٥ : ٤) .

٢ - تعطيل الحقوق أو أضاعتها :

وينضم إلى التسخير والأجر البخس ، عدم دفع الأجر أو التأخر فى دفعه . وفى ذلك يقول الرب :

« لا تظلم أجيراً مسكيناً وفقيراً ، من أخوتك أو من الغرباء الذين فى أرضك فى أبوابك . فى يومه تعطيه أجرته ، ولا تغرب عليها الشمس . لأنه فقير، وإليها حامل نفسه . لئلا يصرخ عليك إلى الرب ، فتكون عليك خطية ، (تث ٢٤ : ١٤ ، ١٥) .

يدخل فى هذا النطاق المدير الذى يؤخر علاوة موظف ، أو يؤخر ترقيته ، إن كان يستحق تلك العلاوة أو الترقية .

مثل هذا المدير يكون قد سرق رزق هذا الموظف، إذ قد سلب حقوقه . ولا يعفيه من ذلك أنه لم يأخذ رزق الموظف ويضعه فى جيبه ، بل تركه لميزانية الدولة . ألا يصرخ قلب الموظف المسكين ضد مديره قائلاً : « قد ظلمتنى ، أكلت تعبى » !!

وبالمثل الموظف الذى يشتغل ساعات زائدة عن النصاب القانونى يستحق عليها أجراً أضافياً Overtime ، ويمنعه عنه رئيسه . هذا أيضاً يكون قد سرق تعبه ...

وبالمثل يكون المدير الذى يخصم من مرتب موظف بدون مبرر . إنه رزقه . من حق رئيس العمل أن يعاقب موظفيه إن فعلوا ما يستوجب ذلك . أما إن خصم من إستحقاقاتهم ظلماً ، فإنه يكون قد وقع فى خطية السرقة . فالسرقة ليست هى أن تسلب مال الناس لنفسك ، إنما تشمل أيضاً إن هضمت حق إنسان سواء أخذته لنفسك أو لغيرك ...

ومن هنا كان الظلم فى المال لوناً من السرقة ... مثال ذلك ما حدث مع زكا العشار إذ قال : « وإن كنت قد وشيت بأحد ، أرد أربعة أضعاف » (لو ١٩ : ٨) . إن زكا لم يكن يسرق بالمعنى المكشوف ، لكنه كان يظلم - عن طريق الوشاية - ظلماً يفقد الناس حقوقهم ويدخل فى نطاق السرقة .

مثال ذلك أيضاً ما يفعله مأمور ضرائب غير عادل ... إنه إذا قدر ضرائب على إنسان أكثر مما يجب ، يكون إنما قد سرق هذا الإنسان وسلبه ماله . وإن قدر عليه ضرائب أقل مما يجب ، يكون قد سرق أموال الدولة . فى حين أنه لا يكون قد أخذ شيئاً من ذلك فى جيبه . وإنما هو قد سلب مال أحد الطرفين وسلمه للطرف الآخر . لذلك ينبغى أن يكون مثل هذا الموظف عادلاً جداً فى تقديره ، لا يميل يمنة ولا يسرة ...

٣ - الرشـــوة :

والرشوة أيضاً هى نوع من السرقة ، لأنها إبتزاز لأموال الناس بدون وجه حق . فالموظف مكلف أن يؤدى عمله دون أن يأخذ أى مقابل من الجمهور ، إذ أنه يتقاضى عن هذا العمل مرتباً ... فالرشوة التى يأخذها من الجمهور هى سرقة واضحة . فكم بالأولى إن وصلت هذه الرشوة إلى مستوى الأتاوات المفروضة ، بحيث لا يقوم مثل هذا الموظف بخدمة لفرد من أفراد الشعب دون أن يتسلم منه رشوة معينة ...

أما الرشوة التى يأخذها موظف لإعفاء مواطن من وأجب عليه نحو الدولة ، فإنها يكون فيها قد وقع فى سرقتين : يكون قد سلب مال هذا الإنسان بأخذه رشوة منه ، وفى نفس الوقت قد سلب مال الدولة بإضاعة حقوقها نحو هذا الإنسان . و يكون هذا الشخص الذى دفع الرشوة قد وقع هو أيضاً فى السرقة إذ سلب الدولة حقوقها التى أعفاه منها الموظف المرتشى بدون مبرر...

ولا يعفى الرشوة من المسئولية إن أخذت إسماً آخر غير إسمها المشين ، كأن تأخذ مثلاً صورة هدية ، وهى فى الواقع ليست كذلك لأن الهدايا يتبادلها الأحباء والأصدقاء ولا يشترط فيها القيام بعمل معين فى مقابل ذلك...

ولا يدخل تحت إسم الرشوة البقشيش الذى يمنح لبواب أو فراش إن كان نوعاً من الصدقة أو المعونة تقدم بروح المحبة لإنسان فقير لا يطلب منه فى مقابلها أن يكسر قانوناً

٤ ـ عدم الأمانة فى العمل :

كما أن صاحب العمل قد يسرق الموظف أو العامل عن طريق التسخير أو هضم حقوقه وعلاواته وترقيته أو العقوبات الظالمة ... كذلك فإن العامل أو الموظف قد يسرق صاحب العمل بطرق كثيرة منها :

ا ـ سرقة الوقت :

فوقت العمل ليس ملكاً للموظف ، وإنما هو ملك لصاحب العمل الذى يعطيه أجراً عنه . فإن إستغل الموظف وقت العمل من أجل مصالحه الخاصة ، أو قضى هذا الوقت فى لعب وسمر مع زملائه ، أو أخذ عطلات بدون وجه حق (عرضية أو مرضية) . فإنه يكون بهذا قد سرق وقت العمل ، أو سرق الأجر الذى يأخذه مقابل هذا الوقت ...

ب ـ عدم الأمانة فى العمل :

إن الموظف يأخذ أجراً على وقت يقوم فيه بعمل معين . فإذا أهمل هذا العمل ، أو لم يؤده بأمانة بما يجب له من جودة ومن إتقان ، وإذا لم يقم بالخدمة المطلوبة منه بل تهرب منها بكافة الطرق ، أو عمل على تأجيلها كسلاً منه ، أو تنصل منها بإحالتها على غيره ، يكون فى ذلك كله قد سرق الأجر الذى يأخذه على هذا العمل ، لأنه عملياً نقض الإتفاق الذى يطالبه بعمل فى مقابل الأجر...

جـ - إتــلاف الآلات :

نلاحظ كثيراً أن العامل الذى يملك آلة ، يحافظ عليها محافظة كاملة . أما إن كان أجيراً يعمل بآلات صاحب العمل ، فإنه كثيراً ما يتهاون بتلك الآلات ولا يهمه أن تتلف . بينما إتلاف هذه الآلات هو نوع من السرقة سلب فيه مال صاحب العمل .

هذا الأمر نلاحظه مثلاً بين سائق تأكسى يشتغل على عربته الخاصة ، وسائق آخر يعمل أجيراً على عربة غيره ! ...

٥ - سرقة بأنواع ظلم أخرى :

هناك أنواع ظلم كثيرة تدخل تحت نطاق السرقة ، منها :

ا - الإتفــاق المجحف :

فقد يُبرم إتفاق بين طرفين ، يظلم فيه أحدهما ، و يكون الطرف الآخر فى موقف سارق له . مثال ذلك فى بعض المقاولات مثلاً ، أو إتفاق بين صانع وعميل ، يبدو فيه عنصر السرقة والظلم واضحاً . و يكون السبب هو إضطرار أحد الطرفين أو جهله بالعملية ، أو فقر وإحتياج من يقوم بالمقاولة فيستغله الطرف الآخر...

ب - إســتغلال الســلطة :

يحدث أحياناً أن يستغل إنسان رئاسته أو سلطته على آخر، فيرغمه على أمور معينة ، يظهر فيها عامل الظلم والسرقة ... مثل قصة آخاب الملك عندما أراد أن يستولى على حقل نابوت اليزرعيلي (٢ مل ٢١) . ومثلما كان يفعل العشارون فى جباية العشور حيث ينهبون الناس و يظلمونهم... وتحت ضغط السلطة ، قد يوافق إنسان - بعامل التهديد - على أمر واضحة فيه صورة السرقة والظلم .

جـ - التحايل على القانون :

هناك أشخاص يستطيعون بذكائهم وحيلتهم أن يتحايلوا على القانون ، ويجمعون لأنفسهم مالاً بغير وجه حق ، أو يفلتون من التزاماتهم نحو الدولة أو نحو بعضهم البعض ... بينما يكون الضمير قد خدرته فرحة عالمية بربح زائل ...

الفصل الخامس

السرقة فى المعاملات

ليست السرقة قاصرة على النهب والسلب والخطف ، بل قد تظهر واضحة فى المعاملات ، ومنها :

١ - إنكار وديعة ، أو إنكار لقية أو لقطة :

فإذا أودع إنسان وديعة عند صديق له ، وأنكر أنه أخذها منه ، أو رفض ردها ، يكون سارقاً . وهذا الأمر ينطبق أيضاً عمن يرفض إرجاع شيء قد إستعاره ، أو يرفض رد قرض ، أو رهن ، أو دين ... وعن ذلك تقول الشريعة :

« إذا أخطأ أحد وخان خيانة بالرب ، وجحد صاحبه وديعة وأمانة أو مسلوباً ، أو إغتصب من صاحبه . أو وجد لقطة وجحدها ... إذا أخطأ وأذنب ، يرد المسلوب الذى سلبه ، أو المغتصب الذى إغتصبه . أو الوديعة التى أودعت عنده أو اللقطة التى وجدها » (لا ٦ : ٢ - ٥) .

ويندرج تحت السرقة ، جزئياً ، ليس فقط إنكار الوديعة أو اللقطة وعدم ردها ، وإنما أيضاً إتلافها أو إستعمالها ...

٢ - عدم تصحيح الحسابات :

ويدخل فى نطاق السرقة أيضاً ، إن كان هناك حساب بين إثنين ، ووجد أحدهما غلطة فى صالحه تزيد حسابه المالى ، ورضى بها ولم يصححها . فن المفروض أن يرجع الإنسان المال الزائد الذى أخذه خطأ بدون وجه حق .

طفل إشترى مثلاً شيئاً من بائع وأعطاه ورقة مالية ، فسلمه البائع الباقى . كم تكون أمانة هذا الطفل إن عد النقود التى معه ووجدها زائدة عن إستحقاقه ، فرجع إلى البائع يسلمه الزائد الذى أعطاه إياه خطأ منه .

٣ - القمار والمراهنات :

إن المال الذى يربحه إنسان عن طريق القمار من شخص آخر ، هو مال حرام

أخذه منه بدون وجه حق . كذلك الألعاب التى يخدعون بها الصبية والتى تعتمد فى سرقتها على خفة اليد ...

٤ ـ الإشتراك فى السرقة :

يدخل شريكاً فى الجريمة ، من يشارك السارق فى العمل أو « من يقاسم سارقاً » (أم ٢٩ : ٢٤) . وأيضاً من يتستر عليه ، ومن يشجعه بطريق مباشر ، أو بشراء المسروق ، أو من يبرر له العمل أو يقلل من إحساسه بالجريمة .

الفصل السادس



أنواع ســـرقات :

سرقة الأفكار معناها أن يأخذ أحد فكرة غيره وينسبها إلى نفسه ، أو يقتبس شيئاً دون أن ينسبه لصاحبه ، كأنه له هو.

مثال ذلك من يسرق لحناً موسيقياً لغيره ويدخله فى ألحانه كأنه له ، ومن يسرق فكرة قصة ، أو فكرة إختراع أو أفكار كتاب ما ... وهناك فى الأدب باب مشهور عن « السرقات الشعرية » . وبعض هذه السرقات تؤخذ كما هى بحرفيتها ، والبعض يدخل عليه بعض التحوير.

وقد يحاول البعض أن يغطى هذه السرقات بأن يضعها تحت عنوان الإقتباس ، أو سعة الإطلاع . ولكن المفروض فى المؤلف إذا أخذ شيئاً من غيره أن يذكر إسم المرجع الذى أخذ منه ...

من أجل كل هذا ضمنت القوانين حقوق التأليف وحقوق النشر والطباعة ، وحقوق الإختراع ... إلخ .

الغش فى الإمتحانات :

وكما يسرق الإنسان إختراعاً لغيره ، كذلك بالغش يسرق إجازة دراسية ليست له ،

و يسرق أفكار غيره و ينسبها لنفسه .

والغش يدخل فى نطاق السرقة الفكرية ، وكذلك التغشيش لأن شريك سارق مثله .

وعبثاً يحاول البعض أن يدرج التغشيش تحت إسم الرحمة أو التعاون . فالفضيلة لابد أن تكون وسيلتها صالحة وفاضلة مثلها . والغاية لا تبرر الواسطة .

وإن قيل إن الأمر تم بواسطة المراقب أو بمعرفته أو بإذنه ، نقول إن المراقب نفسه ليس من حقه أن يفعل هذا ، بل إنه بهذا العمل يعرض نفسه للمحاكمة .

والغش ليس مجرد سرقة ، بل يشمل خطايا أخرى كثيرة .

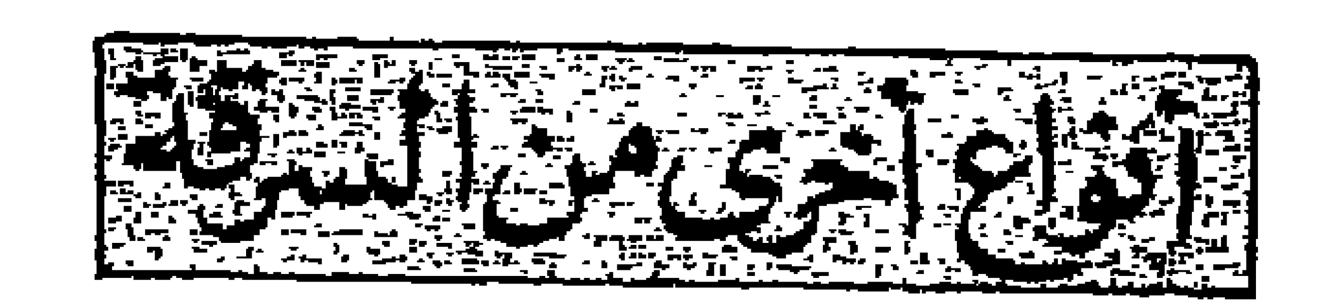
سـرقة الأسـرار :

قد يسرق الإنسان أسرار غيره عن طريق التجسس بأن يستمع بأُذنه ما ليس من حقه أن يسمعه . أو أن يتطفل فيقرأ خطابات غيره أو مذكراته الخاصة ، خلسة دون علمه .

من المفروض أن يحترم الشخص أسرار غيره ، ولا يسمح لنفسه قط أن يطلع عليها . فسرقة الأسرار من أدنأ أنواع السرقات ، لأن الأسرار تتعلق بخصوصيات الإنسان ذاته لا بمقتنياته ...

ليس من حق شخص أن يقرأ فى خلسة خطابات غيره ، حتى لو كان إبنه فإن كانت التربية ترغمه أحياناً على ذلك فليستأذن إبنه فى ذلك أولاً . وبنوع الحب يقنع إبنه أن يطلعه من تلقاء نفسه على أسراره إلتماساً للمشورة والنصح . ولكن لا يكون الأمر خلسة ، فهذا لا يليق ...

الفصل السابع



أنواع أخرى من السرقة

توجد أنواع أخرى من السرقة غير ما ذكرناه ، أهمها سرقة البلاد ، وسرقة النفوس . أما سرقة البلاد فتأتى عن طريق الاحتلال والاستعمار. أما سرقة النفوس فتأتى عن طريق أصحاب البدع والهراطقة والطوائف الدينية الغريبة . وعن هذا النوع الأخير قال السيد المسيح :

« كل الذين أتوا قبلى ، هم سراق ولصوص » (لو ١٠ : ٨) .

وعن هؤلاء السراق واللصوص ، قال غمالائيل معلم الناموس :

« لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه أنه شيء . الذى إلتصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة الذى قتل وجميع الذين إنقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شيء بعد هذا قام يهوذا الجليلى فى أيام الإكتتاب وأزاغ وراءه شعباً غفيراً . فذاك أيضاً هلك ، وجميع الذين إنقادوا إليه تشتتوا » (أع ٥ : ٣٦ ، ٣٧) .

هؤلاء هم المبتدعون ، الذين يسرقون النفوس ...

مثل هؤلاء كان الأريوسيون والنساطرة وشهود يهوه ... وباقى أصحاب البدع ، الذين أخذوا أبناء الكنيسة من بين أحضانها وأضاعوهم ، كما أضاعوا أنفسهم من قبل ...

هؤلاء دعانا الكتاب إلى الإحتراس منهم بقوله : « إن كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه ، يشترك فى أعماله الشريرة » (٢ يو ١٠ ، ١١) .

الفصل الثامن

أسباب السرقة، وعلاجها :

أسباب السرقة :

من أسباب السرقة : الشهوة ، الطمع ، وحب المال وحب القنية . ومن أسبابها أيضاً عدم محبة الغير ، وعدم إحترام حقوقه ، والظلم ، والقسوة ، وعدم الرحمة .

وقد يكون سببها دناءة فى النفس قد نشأت عن وراثة أو تقليد أو تربية فاسدة .

وقد يدفع إلى السرقة الفقر أو العوز والاحتياج .

وقد تكون السرقة مرضاً ، وتعوداً ، ولذة فى نفس خبيثة لذلك قال سليمان الحكيم : « المياه المسروقة حلوة وخبز الخفية لذيذ » (أم ٩ : ١٧) .

والسرقة إذا صدرت من الأغنياء تكون إبشع ، لعدم إحتياجهم . وعندئذ تكون مرضاً ، أو تكون طمعاً وجشعاً وحباً للمال لا يكتفى . وقد قال الحكيم : « كل الأنهار تجرى إلى البحر ، والبحر ليس بملآن » (جا ١ : ٧) .

وكذلك ليس الأغنياء أبرياء من السرقة التى يرتكبها الفقراء عن إحتياج . فربما يكون بخل الغنى ، وحرمان الفقير ، هما السبب الذى دفع إليها ... وكثيراً ما تكون السرقة نوعاً من حقد الفقير على الغنى ...

ومع ذلك فالسرقة التى يرتكبها الفقراء ، لا يمكن للإحتياج أن يبررها .

وهكذا قال الكتاب : « لا تستخفون بالسارق ، ولو سرق ليشبع نفسه وهو جوعان . إن وجد يرد سبعة أضعاف ، و يعطى كل قنية بيته » (أم ٦ : ٣٠ ، ٣١) .

علاج السرقة :

أول علاج هو غرس محبة الأمانة فى النفس ، والسمو بها عن دناءة السرقة .

كذلك يجب أن يتعود الناس محبة الغير واحترام حقوقه ... فإن أحب الناس بعضهم بعضاً ، سيحرص كل واحد على مال أخيه ، ولا يمكن أن يغدر به بحال من الأحوال بل حتى إن وجد شيئاً مفقوداً لإنسان (لقية) ، يظل يفكر بحساسية الحب ـ بنفسية

ذلك الإنسان الذى فقد الشيء ويسعى حتى يعرفه ويسلمه حاجته ...

ويجب أن يعرف الناس أن المال الحرام نار تأكل الحلال أيضاً ...

وعلى الفقراء أن يتعودوا حياة القناعة ... وأن يتعود الناس جميعاً لذة المكسب الشريف، وجمال الرزق الذى يأتى بالتعب ... كما يجب على الذين يعيشون فى سعة، أن يكونوا كرماء أسخياء لا يتركون غيرهم فى حرمان ...

وعلى الشباب أن يبعدوا عن حياة البذخ واللهو والترف والعبث، وما يتطلبه كل ذلك من إنفاق، وبخاصة الإرتباط بعلاقات مع النساء، وسهرات فى الخمر أو المجون أو القمار... لأنه قد لا تقوى أيديهم على النفقة، فينحدرون إلى السرقة ... إما بالضغط على والديهم وبيوتهم ضغطاً يرهقهم، أو بالسعى وراء المال الحرام ...

التوبة عن السرقة :

لا يكفى أن يعترف الإنسان بأنه قد سرق، ويقرأ له الكاهن التحليل، بل يجب على قدر الإمكان رد الشيء المسروق أو التعويض عنه ولو خفية وسراً ...

فى العهد القديم لم يكن يكفى رد المسروق، بل التعويض عنه أضعافاً فى كثير من الأحيان ...

نقرأ فى سفر اللاويين (٦ : ٤) أنه يجب على الشخص أن : « يرد المسلوب الذى سلبه ... أو اللقطة التى وجدها » .

ونقرأ فى سفر الخروج (٢٢ : ١) أنه : « إذا سرق إنسان ثوراً أو شاة، فذبحه أو باعه، يعوض عن الثور بخمسة ثيران، وعن الشاة بأربعة من الغنم » .

أنظر أيضاً (خر ٢٢ : ٧، ٨؛ أم ٦ : ٣٠، ٣١) .

وزكا أعلن فى توبته أن يرد أربعة أضعاف لكل من ظلمه (لو ١٩ : ١٠).

فإن كان السارق لا يستطيع أن يرد هذه الأضعاف كلها، فعليه على الأقل مجرد رد الشيء المسروق. وإن كان يخجل من ذلك. فله أن يتخير الوسيلة التى لا تكشفه ...

الوصية التاسعة

لا تشهد... شهادة زور

« لا تشهد على قريبك شهادة زور »
(خروج ٢٠ : ١٦ ؛ تث ٥ : ٢٠)

« كراهة الرب شفتا كذب »
(أم ١٢ : ٢٢)

« لا تسرقوا ، ولا تكذبوا »
(لا ١٩ : ١١)

« أطرحوا عنكم الكذب ، وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه »
(أف ٤ : ٢٥)

أنواع من الكذب

شهادة الزور هي الكذب . والكذب دناءة . وهو دليل على الخوف ، وعلى ضعف الشخصية . أما الصادق فهو إنسان شجاع ، يتحمل فى وضوح مسئولية أعماله ...

الكذب هو حل سهل ، يلجأ إليه الضعفاء ، وغير الأذكياء . وكثيراً ما ينكشف... فيلجأ الكاذب إلى كذبة أخرى يخفى بها الأولى ، وهكذا يدخل فى حلقة مفرغة من الأكاذيب لا تنتهى .

والإنسان الكاذب لا يثق أحد بكلامه حتى إن قال صدقاً ، يشك الناس فى صدقه . وقد يلجأ إلى القسم ليثبت قوله ، فيشك الناس فى أقسامه أيضاً... كلامه قد فقد هيبته !

والكذب خطية مزدوجة ، تخفى وراءها فى الغالب خطية أخرى ... إنه غطاء لخطية سابقة ، أو حيلة لخطية مقبلة .

لذلك على أب الاعتراف الذى يعترف له تائب بأنه قد كذب ، أن يسأله عن الخطية الأخرى التى دفعته إلى الكذب .

والشيطان هو الكذاب الأول . كذب على أبوينا الأولين ، عندما قال لهما على لسان الحية : « لن تموتا » (تك ٣ : ٤) . وكان الدافع إلى الكذب هو حسده لهما ورغبته فى إهلاكهما . وقد قال الرب عن الشيطان إنه : « كذاب وأبو الكذب » (يو ٨ : ٤٤) وبهذا يكون الكاذب إبناً للشيطان ... !

والكذب قد يكون مباشراً أو غير مباشر .

ولذلك فإن ناقل الكذب يعتبر كاذباً ، وشريكاً فى الكذب ونشره . ويدخل تحت هذا العنوان مروجو الإشاعات الكاذبة وقد يقع فى هذا الأمر أيضاً البسطاء الذين يصدقون كل ما يسمعونه ، ويتكلمون عنه كأنه حقيقة ، دون فحص وتأكيد . وفى الحقيقة لا نستطيع أن نسمى هذه بساطة بمعناها الدقيق . فالبساطة المسيحية ينبغى أن تكون بساطة حكيمة ، وقد قال السيد المسيح : « كونوا بسطاء كالحمام ، وحكماء

كالحيات » (مت ١٠ : ١٦) . بسطاء ، وحكماء ...

من أجل هذا ، نقولها نصيحة لكل إنسان من هؤلاء :

لا تصدق كل ما يقال ولا تحكم بدون تحقيق

لو كنا نعيش فى عالم مثالى ، لأمكن أن نصدق كل ما يقال ولكن مادام الكذب موجوداً فى العالم ، فيجب علينا أن ندقق ونحقق قبل أن نصدق .

ولذلك إشترط الكتاب وجود شهود لإثبات الحقائق ، سواء فى العهد القديم (تث ١٧ : ٦) أو فى العهد الجديد (٢ كو ١٣ : ١ ؛ مت ١٨ : ١٦) مكرراً ومؤكداً هذا المبدأ الهام وهو:

« على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة » .

إن الشاهد الوحيد أو المبلغ الوحيد للخبر ، لا يؤخذ حجة ، إذ قد يكون جاهلاً بحقيقة الأمر ، أو على غير معرفة وثيقة أكيدة بما يقول . أو قد يكون مبالغاً ، أو ربما يكون قد سمع خطأ ، أو أن مصادره التى إستقى منها المعلومات غير سليمة . أو قد يكون غير خالص النية فيما يقول ، وله أسباب شخصية تدفعه إلى طمس الحقائق أو إلى الدس والإيقاع بين الناس ... أو له رغبة خاصة فى إيذاء شخص معين ... وهكذا قال الكتاب : « لتبكم شفاه الكذب ، المتكلمة على الصديق بوقاحة بكبرياء وإستهانة » (مز ٣١ : ١٨) . وربما لا يكون المتكلم عدواً ، وإنما مجرد محب للفكاهة يقول كلاماً بقصد المزاح ليرى مدى أثره ...

فلا يصح أن يشك أحد فى تصرفات صديق أو حق عدو ، من أجل كلام معين سمعه عنه ، دون تحقيق دقيق ...

ولكن ربما يقول القائل إننى لم أسمع هذا الكلام من واحد فقط ، وإنما من كثيرين ... أجيب أنه لا يصح أن نحكم عن طريق السماع ، دون تحقيق ، حتى لو سمعنا من كثيرين . فما أكثر ما يكون كلام الكثيرين على وفرة عددهم له مصدر

واحد مخطىء . وما أكثر ما تتفق جماعة كبيرة من الناس على كذب مشترك . مثلما فعل أخوة يوسف حينما بلغوا أباهم خبراً كاذباً عن إبنه قائلين أن وحشاً قد إفترسه (تك ٣٧ : ٣١ - ٣٢) .

لهذا لا يصح الإكتفاء بكلام شهود كثيرين ، وإنما يجب أن يكونوا شهوداً صالحين وواثقين مما يقولونه ...

نقول ذلك ، لأنه قام شهود كثيرين على قديسين ، وشهدوا عليهم شهادة زور ، مثلما إستقدم رؤساء الكهنة شهود زور ليشهدوا ضد السيد المسيح له المجد (مت ٢٦ : ٥٩ ، ٦٠) .

شهود زور على القديسين

لقد شهد شهود زور ضد القديس إستفانوس رئيس الشمامسة . فلما أراد اليهود قتله : « أقاموا شهوداً كذبة يقولون : هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلاماً تجديفاً ضد هذا الموضع المقدس » (أع ٦ : ١٣) .

وأقامت إيزابل الملكة شهود زور ضد نابوت اليزرعيلي « قائلين : قد جدف نابوت على الله وعلى الملك » وبهذه الحيلة « أخرجوه خارج المدينة ورجموه » (١ مل ٢١ : ١٣) .

سوسنة العفيفة شهد شيخان عليها زوراً بكلام ردىء ، وبولس الرسول قام ضده شهود زور كثيرون حتى أنه وصف خدمته بأنها : « بصيت ردىء وصيت حسن » (٢ كو ٦ : ٨) أى أنه كان يشاع حوله أحياناً « صيت ردىء » !

ويعوزنا الوقت إن سردنا شهادات الزور التي قامت ضد القديسين : القديس أثناسيوس الرسولي إتهموه ظلماً بالزنى والقتل . وأتهم بالزنى أيضاً القديس إبرام السرياني ، والقديس مقاريوس الكبير ، والقديسة مارينا . والقديس مار جرجس إتهم بأنه ساحر ، لما شرب السم ولم يؤذه .

لذلك لا يصح أن يميل الإنسان أذنه لسماع الإتهامات الباطلة ، كمثال ذلك الذي قال عنه الشاعر:

أثـــر البهتـــان فـيـه وإنـطـــوى الزور عليه
يـــالـــه مـــن بـبـغـــاء عـقـــلـه فى أُذنيـه

إن وصية لا تشهد بالزور موجهة للسامع كما للمتكلم . فالذى يسمع الكذب ويقبله ، إنما يشجع الكاذب على الإستمرار فى كذبه ، ويحيط نفسه بأشرار غير مخلصين ، إثنان يشتركان فى هذه الخطية : ناقل الكذب ، وقابل الكذب . كما يقول الكتاب : « المصغى إلى كلام كذب ، كل خدامه أشرار» (أم ٢٩ : ١٢) . ولذلك إشترطت قوانين الكنيسة فى رجل الدين أنه : « لا يكون سماعاً » ...

ما أكثر الإتهامات ، وكلها كذب ودس ووقيعة ... إن الأشرار لم يتركوا للأبرار شيئاً ، وقد يستطيع إنسان شرير أن يدبر لرجل قديس تهمة لا يستطيع أن يفلت منها ولا يقدر أن يدافع عن نفسه . وتكون التهمة محبوكة حبكاً عجيباً حسب « حكمة » الشيطان فى تدبير الشر...



إن كان نقل الكلام خطية ويسبب مشاكل ، فإن أخف الناس ضرراً من ينقلون الكلام كما هو، كما يفعل مسجل الصوت (الريكوردر) الأمين المخلص الذى لا يزيد على ما قيل شيئاً .

إنما هؤلاء يأخذون الكلام ، ويضيفون عليه رأيهم الخاص واستنتاجاتهم وأغراضهم وما يستنتجونه أو يدعونه من قصد ونية المتكلم ، ويقدمون كل ذلك لإنسان آخر، كأنه الكلام المباشر الذى نطق به من قد سمعوه !!

أنظروا ماء النيل وقت الفيضان وهو بنى اللون من كثرة ما حمل من طمى... هذا الماء البنى المشبع بالطين كان فى وقت من الأوقات ماء صافياً رائقاً عندما نزل مطراً من السماء على جبال الحبشة . ولكنه طول رحلته فى الطريق ظل ينحت الطمى من الصخور ويختلط بالطين حتى وصل إليك بهذه الصورة ... هكذا كثير من الأخبار التى تصل إليك ، مشبعة بالطين ، ربما كانت رائقة صافية فى أولها . والفرق بينها وبين ماء النيل أن طينه مفيد للأرض ، أما الطين الذى يضعه الناس فمفسد للعلاقات .

كثير من الأخبار عندما تصل إليك تكون اخبارأمختلفة جداً عن الواقع. وسأضرب لذلك مثلاً.

يقول شخص لآخر: ألم تسمع؟ لقد حدث كذا مع فلان. فيجيبه لا شك أنه غضب جداً لهذا. فيقول له طبعاً لا بد أنه غضب جداً. فيوصل الخبر لثالث ويقول له: «فلان غضب جداً لأنه حدث معه كذا» فيجيبه: «من غير المعقول أنه يكون غضب فقط، لابد أنه سينتقم». ويصل الخبر لرابع إنه سينتقم، فيجيب: «حسب معرفتي لطبعه لابد أنه يدبر دسيسة للانتقام ممن أغضبه» ويصل الخبر لخامس فيقول: «ربما يرسل خطاباً لمصلحته يتهمه باتهامات» فيجيبه سادس: «مش بعيد يقول عليه شيوعي مثلاً» ويصل الخبر لسابع فيذهب إلى الشخص المقصود ويقول له: «الحق، فلان بعت لك جواب للمصلحة بيقول إنك شيوعي».

يحدث كل هذا، وربما يكون الشخص الذى يتكلمون عنه قد تضايق فى وقتها ثم صرف الغضب وسامح من أغضبه وانتهى الأمر. أو قد يكون قد أخذ الأمر ببساطة ولم يتأثر...

وهكذا قد يأتيك إنسان ويقول لك: «أنا زعلان منك» فتسأله عن السبب، فإذا به كلام قد وصل إليه مخالف للحقيقة. ليت هذا الإنسان بدلاً من أن يغضب، يأتى أولاً ويسأل: «أحقاً حدث كذا». ومع ذلك فهو أفضل ممن يسمع كلام الدسيسة فيغضب ويكتم ويتطور الأمر فى داخله دون معرفة من الطرف الآخر...

ومع ذلك فهناك من يتهمونه، ولا يدافع عن نفسه، ويكون بريئاً، ولا يكون سكوته دليلاً على ادانته ...

ربما يكون الشخص من طبعه عدم الدفاع عن النفس مثل القديس يوسف الصديق، أو قد يمنعه تواضعه أو خجله. وربما اثبات براءته يجعله يكشف أسراراً يحرص على اخفائها. أو ربما براءته تدين آخرين وتكشف أخطاءهم وهو لا يريد ذلك. وربما إثبات براءته يجر عليه مشاكل أخرى من الحاقدين عليه أو المتهمين إياه. وأحياناً يكون الشر قاسياً مخيفاً وطاغياً. وربما يكون هذا الساكت تاركاً الأمر لله يدافع عنه دون أن يدافع هو عن نفسه ... وربما لا يكون عارفاً بما يدبر له ...

«مبرىء المذنب، ومذنب البرىء، كلاهما مكرهة للرب» (أم ١٧ : ١٥).

ربما يقول شخص حقاً إن مذنب البرىء شخص ظالم وكاذب ، ولكن ما خطية : « مبرىء المذنب » أليس عمله محبة وعطفاً ؟! ... ولكى أشرح هذه النقطة أضرب المثل الآتى :

فتاة تقدم شاب لخطبتها ، وأنت تعلم أنه شرير ومتعب ، فإذا أُخذ رأيك فيه وامتدحته ، وبهذا اضعت مستقبل الفتاة المسكينة ، فإن هذا التصرف منك ينطبق عليه قول الرب إن : « مبرىء المذنب ... هو مكرهة للرب » ...

إن مبرىء المذنب ـ كما فى هذه الحالة ـ هو شاهد زور.

مثل آخر : إنسان فقير ترشحه عند أحد أصدقائك ليشغل وظيفة ، وهو غير كفء لها أو غير أمين وسيتلف العمل بلا شك . هذا إن برأته أمام صديقك ورشحته وامتدحته ، تكون شاهد زور خائناً لصديقك ، ولا يعفيك عطفك على الفقير...

إن هذا يقودنا إلى فرع آخر من خطايا الكذب وهو:

الملق ، والمحاباة :

إن المديح الزائد بدون وجه حق ، هو كذب صريح وكثير ما يضر صاحبه ويخدعه . إن كثيراً من الوصوليين يصلون إلى أغراضهم بهذا الطريق ، السهل ... !

ويزيد هذه الخطية بشاعة إن كان صاحبها بوجهين ، أى يتملق شخصاً فى وجهه ، ويذمه فى غيبته .

والبعض قد يحابى أهل الموتى ، فيمدحون المتوفى مديحاً ليس فيه بشكل يتعب الحاضرين ويفقدهم الثقة فى كلام التأبين .

أنوع أخرى من الكذب :

من أنواع الكذب المشهورة « **أنصاف الحقائق** » ، بأن يخفى المتكلم النصف الآخر من الحقيقة الذى يمكن أن يعكس الموقف .مثال ذلك اظهار عيوب إنسان واخفاء كل محامده بحيث تقدم عنه صورة مشوهة هى عكس الواقع تماماً ...

ومنه أيضاً كذب المزاح ، ومن أمثلته « كذبة إبريل » المشهورة ...

ومنه أيضاً الظن السىء ، والتأويل الخاطىء ...

ومن أمثلة الكذب المبالغة الكبيرة فى الكلام ...

ومن أمثلته أيضاًالرياء ...

وأرجو أن أعود لهذه الموضوعات فى كتابنا عن (الصمت والكلام) ...

عوامل تزيد بشاعة الكذب :

تزيد بشاعة خطية الكذب ، كلما كانت شخصية الكاذب كبيرة ، أو كلما كان موضع ثقة بحيث يصدق كلامه بدون فحص ... ! وتزيد بشاعة الكذب أيضاً كلما عظمت مكانة من تكذب عليه . مثل أخوة يوسف الذين كذبوا على أبيهم ، ومثل من يكذب على أب أعترافه ، ومثل حنانيا وسفيرة اللذين كذبا على الروح القدس ، فضربهما الله بالموت (أع ٥ : ٣ ، ٤) .

ومن أمثلة الكذب على الله : الأنبياء الكذبة . والمسحاء الكذبة ، وأصحاب الرؤى الكاذبة ... والعرافة ... أولئك الذين ينسبون إلى وحى الله أشياء لم يقلها الله لهم . وفى ذلك قال الله لأولئك : « ألم تروا رؤيا باطلة . وتكلمتم بعرافة باطلة كاذبة ، قائلين وحى الرب وأنا لم أتكلم » (حز ١٣ : ٨) . وقال عن الأنبياء الكذبة : « تنبأوا بإسمى بالكذب » (أر ٢٣ : ٢٥) . كما أشار الكتاب إلى : « الرسل الكاذبين » (رؤ ٢ : ٢) . وإلى : « الآيات الكاذبة » (٢ تس ٢ : ٩) وإلى العرافين الذين رأوا الكذب (زك ١٠ : ٢) ...

أسباب الكذب وعلاجه

● يظن البعض أن الكذب ينجى ، ويلجأ إليه لاخفاء خطية معينة . ونصيحتنا لهؤلاء أن يلجأوا إلى طرق سليمة وأن حبل الكذب قصير ، غالباً ما ينكشف . ونقول **إن الشيء الذى تخاف أن تنكشف فيه ، لا يصح أن تفعله** ... ولو صممت أن تكون صادقاً ، لاسترحت من خطايا كثيرة .

● وقد يكذب الإنسان بسبب الاحراج والخوف أو الحاح السائل . ونصحتنا أن **السكوت أفضل من الكذب** . لذلك أصمت ، أو غير مجرى الحديث ، أو أعتذر عن الإجابة ، أو تكلم بالصدق فى الحدود التى تستطيعها . أو تكلم بصراحة وشجاعة ودافع عن موقفك أو اعتذر عن خطئك ...

● **وقد يكون الكذب بسبب الكبرياء اخفاء للجهل** ... ونحن نقول إنه لا يضير الإنسان أن يقول أحياناً : « لا أعرف » .

● **وقد يكون سبب الكذب اضطرارات وظيفة معينة** . كالمحامى الذى يدافع عن مذنب أو الطبيب الذى يخدع مريضاً ... ونحن نريد المحامى النزيه الذى لا يقبل الدفاع عن متهم إلاّ إن كان واثقاً من براءته . أما إن كان مذنباً فإنه يشرح العوامل المحيطة التى تخفف من الذنب دون أن يكذب .

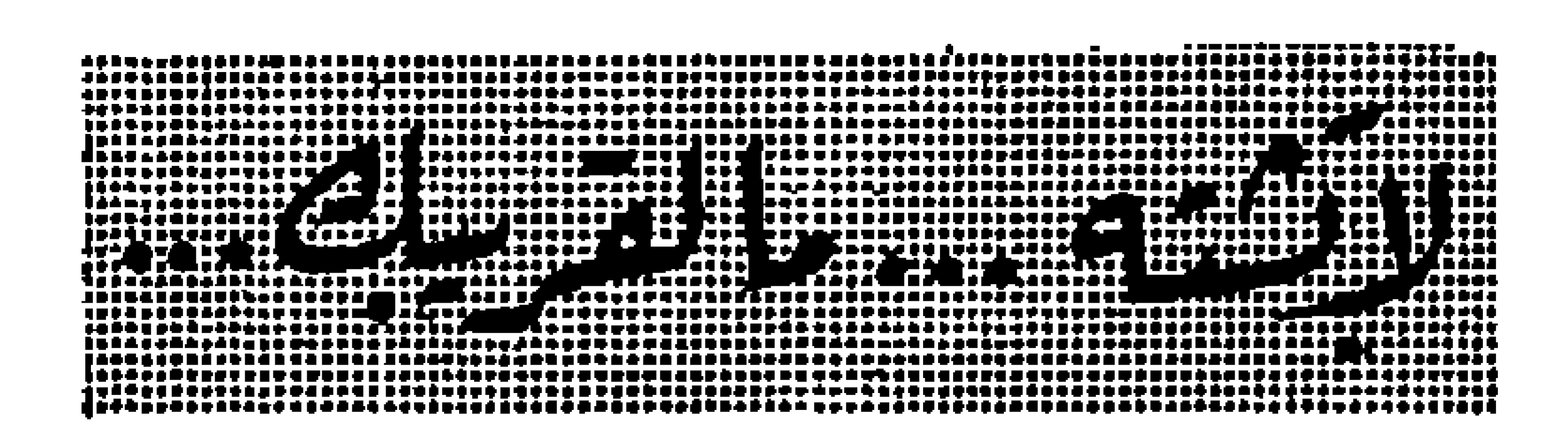
كذلك نلاحظ فى الطبيب أنه يهتم بجسد المريض وحياته الأرضية ، وقد يخدعه وهو على أبواب الأبدية فيفقده الفرصة للتوبة . ومع ذلك فإن كانت بعض الأمراض تؤذيها الصراحة فننصح الطبيب أن يكون حكيماً فى موقفه . لا يقول كذباً ، وأيضاً لا يتكلم بصراحة تميت وتزعج . يحتاج الأمر إلى لباقة وإلى بشاشة وإلى عبارات رجاء ، إلى تحذير بصورة لا تحمل اليأس ... وهنا نواجه سؤالاً هاماً وهو:

هل إخفاء بعض الحقائق نوع من الكذب ؟

كلا ، فهناك أسرار للإنسان من حقه كتمانها ، وأسرار للآخرين ائتمنوه عليها ومن واجبه أن يحفظها مصونة . وهناك أمور من الضرر البالغ إذاعة سريتها ، إلاّ من المسئولين وفى الوقت المناسب . وهناك اعترافات يجب أن تظل فى الكتمان ، وحقائق من الصالح أن لا تعرف وهناك أسرار روحية يجب أن تظل فى الخفاء ...

لذلك من حقك أن تخفى بعض الحقائق . ويمكن أن تكون صريحاً أحياناً وتقول لسائلك : « **أعفنى من هذا السؤال** » أو تتهرب من الإجابة .





لا تشته إمرأة قريبك . ولا تشته بيت قريبك ، ولا حقله ، ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شيئاً مما لقريبك .
(تث ٥ :٢١ ؛ خر ٢٠ : ١٧) .

عبارة « لا تشته » تكشف لنا ناحية جمال فى شريعة العهد القديم . تلك الشريعة السامية التى لم يفهمها الناس ، لأن البرقع كان على أذهانهم . صدقونى أن السيد المسيح عندما قال : « ما جئت لأنقض بل لأكمل » (مت ٥ : ١٧) ، كان مما يقصده أن يكمل فهم الناس للناموس ...

ووصية « من نظر إلى إمرأة واشتهاها ، فقد زنى بها فى قلبه » (مت ٥ : ٢٨) ، لها جذور فى شريعة العهد القديم ، عندما قال الرب : « لا تشته إمرأة قريبك » .

بوصية « لا تشته » دخل الرب إلى أعماق الخطايا ، لكى يجتثها من جذورها . فالزنا يبدأ أولاً بشهوة الجسد . والسرقة تبدأ بشهوة الاقتناء أو شهوة المال . والكذب يبدأ بشهوة فى تبرير الذات أو فى تدبير شىء ما . والقتل يبدأ بشهوة الانتقام أو شهوة أخرى تدفع إليه ... فإن حارب الإنسان الشهوة وانتصر عليها ، يكون قد انتصر على كل الخطايا . ما أجمل قول الحكيم :

« افرحوا ، لا لشهوة نلتموها ، بل لشهوة أذللتموها » .

إنه من المسبة أن يقال عن إنسان أنه : « شهوانى » ، أى أنه يقاد بواسطة شهواته .

إذا اصطدمت بالشهوة ، فأفضل وسيلة هى أن تهرب منها ، بدلاً من أن تدخل معها فى صراع قد تنهزم فيه . أو على الأقل قبل أن تنتصر ، يكون قلبك قد تدنس بالشهوة . إنتفع بنصيحة الرسول الذى قال : « وأما الشهوات الشبابية فاهرب منها » (٢ تى ٢ : ٢٢) .

مادامت الشهوة لا تستريح حتى تكمل ، فالهروب منها أفضل . فلماذا تدخل معها فى صراع أو فى نقاش ؟ إنك كلما أعطيتها مكاناً أو تهاونت معها ، واتصلت بها ، تقوت عليك ، وتحولت من مرحلة الاتصال ، إلى الانفعال ، إلى الأشتعال ، إلى الاكتمال ...

تتدرج من التفكير فيها إلى التعلق بها ، إلى الانقياد لها ، إلى التنفيذ ، إلى التكرار، إلى الجنون بها ، إلى الاستعباد لها ...

وقد يلجأ الإنسان إلى طرق خاطئة لتحقيق شهواته : إلى الكذب ، أو الخداع ، أو الاحتيال ، وربما إلى أكثر من هذا ...

مضار اشباع شهوة لا تشبع :

وإذا تعب إنسان من شهوة يقع فى خدعة ويقول : من الأفضل أن أشبع هذه الشهوة حتى أقضى على هذا الأشتياق وأستريح !!

إن الشهوة لا تشبع أبداً . ما أعمق قول السيد المسيح : « من يشرب من هذا الماء يعطش » (يو ٤ : ١٣) . وعندما يعطش يشرب ، وكلما يشرب يزداد عطشاً ... إلى غير إنتهاء ... كلما يمارس الشهوة يجد لذة ، واللذة تدعوه إلى الممارسة مرة أخرى ... قصة لا تنتهى !

إن إشباع الشهوة لا ينقذ الإنسان منها ، بل يزيدها .

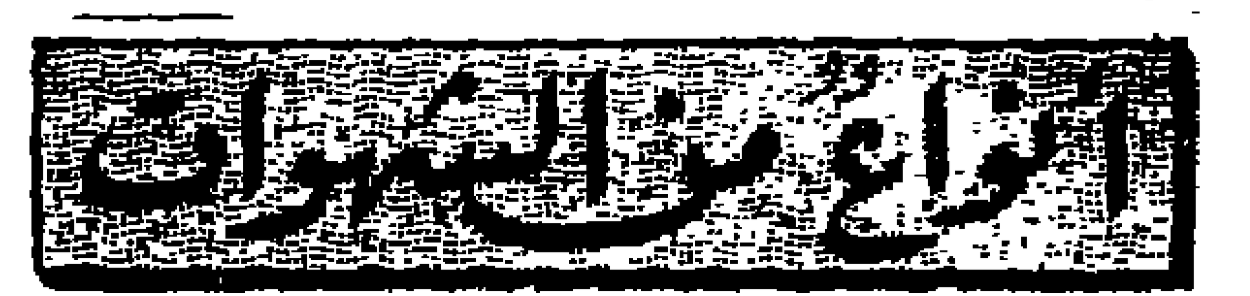
إنسان مثلاً يشتهى المال ، كلما يجمع مالاً يشتاق إلى مال أكثر . شاب طموح إلى الترقى : إن وصل إلى الدرجة الرابعة ، يشتاق إلى الثالثة . وإن وصل إلى الثالث يشتاق إلى الثانية ، وهكذا دواليك ...

وفى الزنا أيضاً : إن اشبع مرحلة يشتاق إلى التالية ...

وآدم كان له كل شجر الجنة ما عدا واحدة . فلم يشبع بل اشتاق إلى هذه الواحدة ! ... وآخاب كان ملكاً ، ويملك الكثير ، ومع ذلك لم تشبعه كل أملاكه بل اشتاق أن يمتلك أيضاً حقل نابوت اليزرعيلى ! وداود كان له سبعة نساء ، ومع ذلك لم يشبع ، بل اشتهى بتشبع ... سليمان سار فى طريق الاشباع إلى آخره ، وقال : « مهما اشتهته عيناى لم أمسكه عنها » (جا ٢ : ١٠) . فماذا كانت النتيجة ؟ لقد اتخذ له ألف إمرأة !! ثم ترك لنا خبرته فى عبارة خالدة هى :

« العين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمتلىء من السمع ... كل الأنهار تجرى إلى والبحر والبحر ليس بملآن » (جا ١ : ٨ ، ٧) .

لا تظن إذن أن الاشباع ينقذك من الشهوة . لا ينقذك إلاّ ضبط النفس . والأفضل هو الهروب من الشهوة . إن يوسف، وهو بتول انتصر على الشهوة بالتعفف وبالهروب . وداود المتزوج بكثيرات إنهزم أمام الشهوة لما سمح لنفسه باشباعها ...



هناك أنواع كثيرة من الشهوات ركزها الرسول فى قوله : « لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة » (١ يو ٢ : ١٦) .

« **الجسد يشتهى ضد الروح** » (غل ٥ : ١٧) . « ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٤) . إن لذة صلب الجسد مع شهواته هى لذة يشعر فيها الإنسان بسمو روحه وبأنه أعلى من العالم الذى يمضى وشهوته (١ يو ٢ : ١٧) .

وشهوة الجسد قد تكون شهوة زنى ، أو شهوة طعام ، أو شهوة فرجة وتنزه الحواس كالنظر والسمع والشم ...

أما شهوة الزنى فهى التى قصدها الله بقوله : « لا تشته إمرأة قريبك » . أما شهوة البطن أو شهوة الطعام فهى التى وقع فيها عيسو عندما اشتهى عدس يعقوب ودفع بكوريته ثمناً لاكلة عدس !! (تك ٢٥ : ٢٩ - ٣٤) . ومثلها أيضاً شهوة بنى إسرائيل عندما : « بكوا وقالوا من يطعمنا لحماً . قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم » (عد ١١ : ٤ ، ٥) . فأعطاهم الرب لحماً ، ثم ضربهم ضربة عظيمة فمات منهم كثيرون وسمى مكان دفنهم « قبور الشهوة » .

وهناك شهوة مال ، وشهوة إقتناء ، وشهوة إمتلاك ... مثال آخاب الملك فى اشتهائه حقل نابوت . وعن هذه قال الرب : « لا تشته بيت قريبك ... ولا شيئاً مما له » . ومن أمثلتها هواة جمع الطوابع ، ومن يشتهون جمع التحف... وكثيراً ما يشتهى الإنسان جمع أشياء لا ينتفع بها ...

وهناك أيضاً شهوة الكرامة ، وشهوة الشهرة ، وشهوة المراكز **والألقاب وشهوة العظمة عموماً** ... وشهوة الزينة ، وشهوة الجمال ... وكل هذه قد تأخذ مظاهر متعددة ... مثالها الشخص الذى يغير عربته كلما يظهر موديل جديد .... ومن أمثلة شهوة

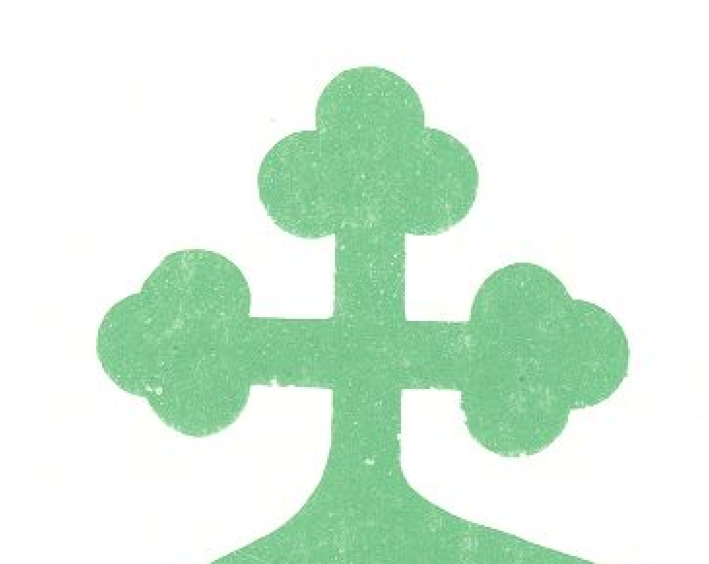
العظمة سقطة الشيطان الذى قال : « أصعد إلى السموات ، أرفع كرسى فوق كواكب الله ... أصعد فوق مرتفعات السحاب . أصير مثل العلى » (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤) ومن أمثلتها أيضاً سقوط آدم وحواء اللذين أغراهما الشيطان أن : « يصيرا مثل الله » (تك ٣ : ٥) .

ومن أخطر الشهوات التدمير . ومن أمثلتها شهوة الشيطان بالنسبة إلى بنى آدم ، حيث كل رغبته أن يهلكهم . ولهذا قال عنه الرب : « ذاك كان قتالاً للناس منذ البدء » (يو ٨ : ٤٤) . ويمكن أن تنضم لهذه الشهوة ، شهوة الانتقام ...

خاتمـــة :

كل هذه الشهوات ينتصر عليها الإنسان بروح التجرد ، بشعوره بغربته عن العالم ، وشعوره بأن الكل باطل وقبض الريح . وأن العالم يبيد وشهوته معه (١ يو ٢ : ١٧) . وبافكاره باستمرار فى الحياة الأخرى . وأيضاً بمحبته للقريب ، وبروح البذل ...

فهرست



في ظلال الكتاب

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين



الوصايا العشر قديمة جديدة ليست هى للعهد القديم فقط ، إنما لكل زمان ولكل جيل .

كلمات قليلة ، ولكن لها مفهوماً عميقاً وواسعاً ، تغنى به داود النبي فقال : « لكل كمال رأيت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً » (مز ١١٩)

وقال : « وصية الرب مضيئة ، تنير العينين » (مز ١٩) ... « أحلى من العسل وقطر الشهد » ...

إنها وصايا كتبها الله باصبعه على لوحين ... كسر موسى اللوحين الأولين بسبب خطية الشعب .

أما اللوحان الآخران ، فقد حفظا فى اقدس مكان ، فى تابوت

